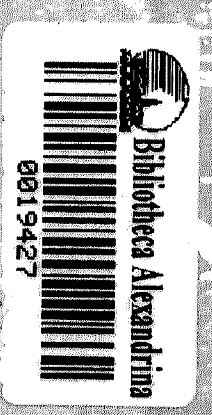
هنــرى كوريـيل

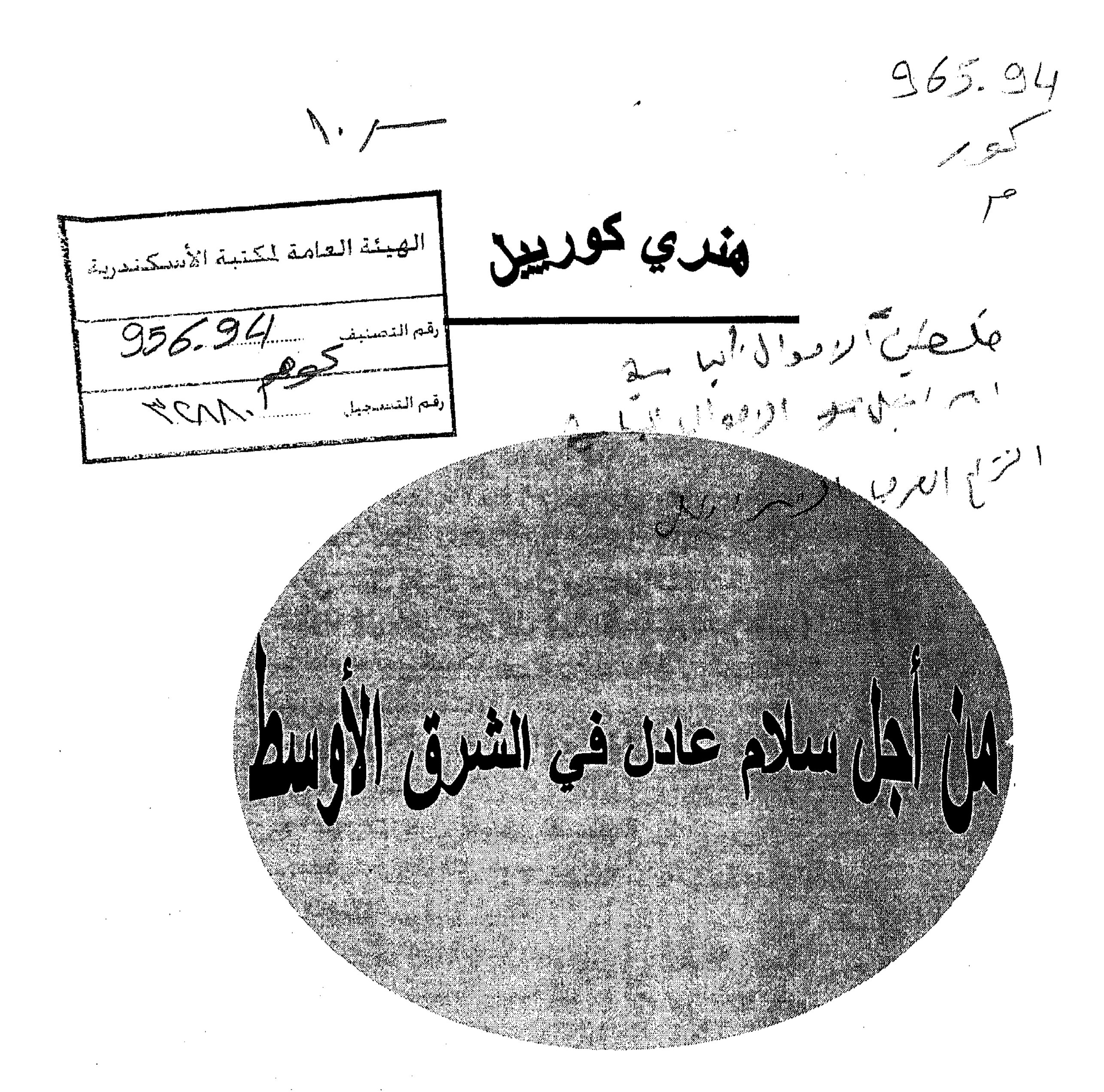


من أجل سلام عادل فى الشــرق الأوسط





هنري كورييل



من أجل سلام عادل في الشرق الأوسط

الناشر: دار الثقافة الجديدة

٣٢ ش صبري أبو علم، باب اللوق
باب اللوق، القاهرة
ت وفاكس : ٣٩٢٢٨٨٠

الطبعة الأولى ١٩٩٩م

المحتويات

مقدمة الناشر

ليس هذا كتابا عن هنري كورييل ولكنه كتاب عن آراء وأفكار هنري كورييل بالنسبة للقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي. لأن هنري كورييل كشخص كانت له نشاطات متعددة الجوانب على مدى حياته، سواء في نشأة الحركة الشيوعية في مصر إلى أن أبعد عن مصر عام ١٩٥٠، ثم نشاطه المتشعب بعد ذلك عند إقامته في فرنسا سواء بالنسبة لمساعدة حركة التحرير الجزائرية أو التضامن مع حركات التحرر في العالم الثالث وهو ما أثار الكثير من النقاش والتعليقات.

وهذا كله لا يتعرض له هنا في كتاباته، ولا يتعلق بموضوعنا في هذا الكتاب.

اهتممنا بنشر هذه الأفكار في هذا الوقت الذي تثير فيه القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي اهتماما كبيرا سواء في بلادنا العربية أو في العالم. باعتبار هذه المشكلة تمثل بؤرة خطيرة للتوتر في الشرق الأوسط وفي العالم. ونعتقد أن آراءه بالنسبة لهذه القضية منذ الأربعينات حتى اغتياله لا يمكن أن نهملها سواء اتفقنا معها أو اختلفنا، لأنها آراء لها وزن وكانت لها دور هام في تطور هذا الصراع وفي البحث عن تسوية سلمية.

ولد هنري كورييل في القاهرة في ١٣ سبتمبر ١٩١٤ من أبوين يهوديين يحملان الجنسية الإيطالية. وكان الأجانب في هذه الفترة يتمتعون بالامتيازات الأجنبية. وكان يستوطن في مصر في هذا الوقت آلاف من الإيطاليين واليونانيين والفرنسيين والإنجليز والأرمن واليهود. وقد انفصلت مصر عن الإمبراطورية العثمانية منذ عام ١٩١٤ وفي عام ١٩٢٢ أعلنت الحماية البريطانية على مصر. وعندما بلغ هنري كورييل سن الرشد اختار الجنسية المصرية. وفيما بعد أرتبط بالأفكار

الشيوعية من منطلق العداء للفاشية والتأثر بأوضاع الفلاحين البائسة والوقوف مع حركة التحرر الوطني في مصر ضد الاستعمار البريطاني وأسس تنظيما شيوعيا هو "الحركة المصرية للتحرر الوطني". ورغم أنه حدد الاشتراكية باعتبارها الهدف الأبعد ولكن الهدف المباشر هو التحرر الوطني في مصر والسودان من الاستعمار البريطاني، وكان ينادي بالتحرر الوطني ذي المضمون الاجتماعي الشعبي.

وقد اعتقل هنري كورييل مع غيره من الوطنيين يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ في حملة إسماعيل صدقي ضد الشيوعية. وفي صيف ١٩٤٧ وبعد وحدة أكبر تنظيمين شيوعيين تكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وأصبح مسئولا سياسيا لهذا التنظيم واعتقل مرة أخرى في ١٥ مايو ١٩٤٨ بعد حرب فلسطين وإعلان الأحكام العرفية وأفرج عنه في عهد حكومة الوفد ١٩٥٠، ولكنه أبعد من مصر بعد بضعة شهور إلى إيطاليا.

انتقل إلى فرنسا وعاش فيها حتى آخر حياته. ظل لفترة على علاقة برفاقه في مصر. وفي ١٩٥٦ قدم معلومات سلمت لجمال عبد الناصر حول الإعداد للعدوان الثلاثي على مصر. وكان يكتب لرفاقه في مصر بضرورة العمل من أجل السلام بين مصر وإسرائيل.

عمل في الستينات مع عدد من أصدقائه في باريس وعدد من الفرنسيين لمساعدة حركة التحرر الجزائرية التي قدمت مساعدات متنوعة للمناضلين الجزائريين إلى أن اعتقل في باريس وحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات، إلا أنه أفرج عنه بعد اعتراف دي ديجول باستقلال الجزائر. بعد تحرير الجزائر دعاه بن بللا الذي تعرف به في السجن إلى الذهاب إلى الجزائر والإقامة بها ولكنه رفض، وأنشأ في فرنسا تنظيما سماه "التضامن" لمساعدة حركات التحرر الوطني في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا. وقدم مساعدات للمؤتمر الوطني الأفريقي ضد الحكم العنصري وأعطى اهتماما خاصا للمقاومة الفلسطينية. وقد اغتيل في ٤ مايو ١٩٧٩ أمام منزله. أعلنت منظمة اسمها "دلتا" مسئوليتها، رغم أن هناك شبهات كثيرة حول أجهزة الموساد بالتعاون مع المخابرات الفرنسية. وقد أثار جيل بيرو هذا الموضوع في اجتماع

نظمه أصدقاؤه في باريس بمناسبة مرور ٢٠ عاما على اغتياله. واشترك في هذا الاجتماع مندوبون من مصر والسودان وزملاؤه في العمل من أجل تحرير الجزائر وفي منظمة "التضامن" وممثل عن الحزب الشيوعي الفرنسي وصبري جريس ممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي ١٣، ١٤ نوفمبر الماضي عقدت في جامعة السوربون بباريس ندوة استمرت يومين "حول نشاط واغتيال هنري كورييل" تحت رعاية مدام كاترين تروتمان وزيرة الثقافة الفرنسية وبدعوة من أصدقاء هنري كورييل بالاشتراك مع معهد المغرب أوروبا بجامعة باريس والموند دبلوماتيك وسيديتيم ودارت حول التضامن مع نضال حركات التحرر في أفريقيا آسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك حول مشكلات الصراع العربي الإسرائيلي، وقضايا الأممية والتضامن الأممي.

وقد صدر عن هنري كورييل عدد من المؤلفات من أهمها كتاب جيل بيرو المعروف "رجل من نسيج خاص" الذي وزع منه ١٥٠ ألف نسخة وقد ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ لطيف فرج. وصدر عنه في مصر كتابان يهاجمانه. وكتب عنه العديد من المقالات والتحقيقات في مصر. وبمناسبة الذكرى العشرين لاغتياله صدرت في فرنسا الكثير من الكتابات في الصحف والمجلات الفرنسية تشيد بنضاله في مختلف المجالات من أجل السلام ومساعدة حركات التحرر في العالم الثالث ودوره من أجل التضامن الأممي.

وقد قيل الكثير عن هنري كورييل بعضه إيجابي وبعضه سلبي وخصوصا بالنسبة لموقفه من الصراع العربي الإسرائيلي. وقد رأينا أن نقدم للقارئ العربي كتاباته نفسها عن هذا الموضوع. وقد جمع هذه الكتابات أصدقاء هنري كورييل في باريس ونشروها باللغة الفرنسية. وقد رأيت أن أترجمها إلى اللغة العربية وأقدمها للقارئ المصري والعربي لأهميتها في الظروف الحالية. وهي كتابات بدأت في الأربعينيات واستمرت حتى آخر حياته. وهي تعكس مواقفه التي ناضل من أجلها. وأعتقد أنها كانت من الأسباب الأساسية التي أدت لاغتياله.

محمد يوسف الجندي

مقدمة

هنري كورييل مؤلف هذه الكتابات حول مشكلة السلام العادل بين البلاد العربية وإسرائيل هو مصري من أصل يهودي. وفي ٤ مايو ١٩٧٨ اغتاله قاتلان مجهولان في باريس.

ولد هنري كورييل في ١٣ سبتمبر ١٩١٤ في القاهرة. وهو مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو) ثم أصبح سكرتيرا عاما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وهي المنظمة الأصل للحزب الشيوعي المصري حاليا. وقد كان هنري كورييل أمميا أصيلا.

وكانت أمميته سخية. فهنري كورييل لم يطلب مساعدة من الحركة الشيوعية والثورية لمنظمته. ولم ينتظر من الحركة العمالية العالمية إلا الاستفادة من خبرتها الثمينة.

ومنذ الأيام الأولى لعمله النضالي حتى اللحظات الأخيرة من حياته كان يبحث عما يستطيع أن يقدمه للشعوب المناضلة، وللمناضلين الثوريين في أي مكان.

وهكذا فمنذ تأسيس الحركة المصرية للتحرر الوطني في عام ١٩٤٣ أعطى هنري كورييل لعمله توجها أمميا حاسما: مساعدة للإيطاليين والألمان المعادين للفاشية في مصر، مساندة للعناصر الثورية داخل قوات الحلفاء في مصر (خصوصا بين القوات البريطانية)، مساعدة مباشرة وملموسة للثوريين اليونانيين الذين قاموا بحركة تمرد في الجيش اليوناني الموجود في مصر عندما قررت القيادة العليا البريطانية إرسال هذا الجيش اليوناني إلى الجبهة

الإيطالية بدلا من إلحاقها بالقوات المتحالفة التي كان عليها أن تذهب إلى اليونان لطرد المحتل النازي .. الخ.

ومن أكبر مميزات هنري كوربيل أنه كان أول سياسي مصري يقدم حلا عادلا للمسألة السودانية. فبينما كانت كل الأحزاب السياسية المصرية تتحدث عن "وحدة وادي النيل" مما كان يعني في الواقع إخضاع السودان للبورجوازية المصرية، اقترح هنري كوربيل منطلقا من فكره الأممي "الكفاح المشترك لشعبي وادي النيل ضد العدو المشترك (المحتل البريطاني)"، ومعترفا للشعب السوداني بحق تقرير المصير بما فيه حقه في الاستقلال الكامل. وكبداية ساعد الشبان السودانيون الثوريون في القاهرة على تكوين منظمتهم السياسية الخاصة بهم وهي الحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) والتي أصبحت فيما بعد الحزب الشيوعي السوداني.

في عام ١٩٥٠ طرد هنري كوربيل من مصر بأمر من الملك فاروق. عاش في فرنسا في ظروف صعبة للغاية هي ظروف الحياة السرية. ومع ذلك فإنه لم يتردد في تقديم العون لنضال جبهة التحرير الجزائرية من أجل استقلال الجزائر. وقد كلفته هذه المعونة للجزائر من فرنسا فترة طويلة من السجن.

وبعد الإفراج عنه عمل على إنشاء رابطة التضامن التي كانت تهدف إلى تقديم العون والمساندة لكل قوة ثورية تطلب ذلك في نضالها من أجل استقلال بلادها، ومن أجل العدالة الاجتماعية والديمقراطية. وقد استفاد في عمله من الخبرات التي اكتسبها في نضاله من أجل إنشاء الحزب الشيوعي في مصر ومساعدته لحركة التحرير الوطني الجزائرية.

ورغم نفيه لأكثر من ربع قرن ورغم الصعوبات من كل نوع فقد ظل هنري كوربيل رجل العمل يشعر دائما بقربه من رفاقه المصريين. ولم يترك أي فرصة كي ينقل إليهم خبرته ولجذب انتباههم للجوانب السياسية الدولية التي كان من الممكن أن تخفى عليهم بسبب عزلتهم في مصر.

أثار عمل هنري كورييل الثوري الحقد الشديد عند القـوى الإمبرياليـة والرجعية. فبعد عمليات من الملاحقة التي لم تنجح معه لجأ أعداؤه في النهاية إلى الاغتيال الجبان. لقد سقط ضحية لنضاله من أجل الشيوعية والسلام.

إن عمل هنري كورييل من أجل حـل عـادل للمشـكلة الإسـرائيلية الفلسطينية هي أفضل شاهد على روحه الأممية. ويثبت ذلك الكتابات التـي جمعناها في هذا المؤلف.

صلاح

عن رفاق هنري كورييل

باريس. يونيو ١٩٧٩

تنويه

هذا الكتاب يجمع كتابات مختارة لهنري كوربيل حول العلاقات العربية الإسرائيلية في السنوات من ١٩٥٣ حتى ١٩٧٥. وقد نشرت خارج مصر. ولم تسمح الظروف الحالية بالبحث وتجميع النصوص التي كتبها أو أوحى بها خلال عمله النضالي في مصر من ١٩٤٢ إلى ١٩٥٠، ولم يكن ممكنا بالذات أن نجد في فرنسا القرارات المتعلقة بالمسألة الفلسطينية التي أعلنتها في ١٩٤٧/١٩٤٨ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني المنظمة الشيوعية الرئيسية في مصر في ذلك الوقت. ونعتقد أنه من الأسهل على رفاق هنري كوربيل المصريين أن يجدوا هذه النصوص ويكملوا بذلك هذا الكتاب.

الجزء الأول الذي حرره أصدقاء هنري كوربيل المقربين يلخص المواقف التي اتخذها ودافعت عنها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني باعتباره كان سكرتيرها العام قبل وبعد قرار تقسيم فلسطين في علم ١٩٤٧. وهناك وثيقتان مأخوذتان من كتاب رفعت السعيد (اليسار المصري والقضية الفلسطينية) تقدمان إضافة وتوضيحا.

***

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية ١٩٤٧

يجب التنويه بأن الحركة الشيوعية في مصر لم تكن في هذه الفترة موحدة. فعديد من المنظمات كانت تنطلق من الفكر الماركسي اللينيني وتعتبر نفسها شيوعية، وكانت لها مواقف مختلفة من العديد من القضايا.

كان هنري كورييل هو المؤسس والسكرتير العام للحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو).

ومع اقتراب الحرب من نهايتها وطرح المشكلة المأساوية للاجئين اليهود من أوروبا بشكل حاد، أصبح من الواضح أن المشكلة الفلسطينية ستصبح من جديد أحد المشاغل السياسية الأساسية لكل بلدان الشرق الأوسط. ومصر لم تكن تستطيع أن تبقى بمنآى عن هذه المشكلة.

كانت الأفكار الأساسية التي وضعها هنري كورييل عام ١٩٤٥ هي التالية:

– المهمة الرئيسية للحركة الوطنية المصرية هي تحقيق الاستقلال الوطني بالحصول في أقرب وقت على جلاء قوات الاحتلال الإنجليزية.

– الإمبريالية البريطانية تستخدم المنازعات بين المجتمعات اليهودية والعربية في فلسطين لحرف الحركة الوطنية لكل شعوب المنطقة وفي مصر بالذات حيث الحركة الأقوى عن مهمتها الرئيسية: الاستقلال الوطني وجلاء قوات الاحتلال الأجنبية.

– إن الإمبريالية بتعبئة الرأي العام المصري ضـــد اليـــهود، وبنشـــر تصريحات معادية للسامية، وبتشجيع الخلط بين "اليهود" و"الصهاينة"، فإنـــها ترمي بذلك في الواقع إلى حرف الضربات التي كانت موجهة إليها.

– أما بالنسبة لفلسطين فقد طالبت الحركة المصرية للتحـــرر الوطنـــي بانتهاء الانتداب البريطاني، تركة الحرب العالمية الأولى. ونجـــح الإنجلـــيز بالوقيعة بين الطائفتين –العربية واليهودية – وبوعودهم المتناقضة وسياســـة الخداع الكامل نجحوا في نشر الفوضى في البلاد. وكـــان علـــى اليـــهود والعرب أن يتحدوا فى جبهة معادية للإمبريالية وأن ينشئوا معا دولة واحـــدة ديمقراطية مستقلة تقوم نفسها بحل مشاكل التعايش السلمي بين الطائفتين.

– وفي مصر نفسها طالبت الحركة المصرية للتحرر الوطني من الطائفة اليهودية (حوالي ١٠٠ ٠٠٠ شخص) أن تتضامن مـــع الجركـــة الوطنيـــة المصرية كما كان الحال أثناء الثورة المصرية في ١٩١٩-١٩٢٢. ولا يمكن ضمان مستقبل هذه الطائفة إلا بقدر ما تكون جزءا متكـــاملا مـــن الحركـــة الوطنية المصرية مثلها في ذلك مثل طوائف الأقلية الأخرى.

لاقت هذه المواقف معارضة شديدة من أوساط مختلفة:

– من اليمين المتطرف، من "الإخـــوان المســـلمين"، وهـــم مســـلمون متطرفون يساندهم الإنجليز والسراي الملكية، ومن أصحاب الميول الفاشـــية الذين لم يركزوا على المطالب الوطنية المصرية وإنما على فكرة مبهمة عـــن "الدولة الإسلامية" تجسد في روحهم الإمبراطوريـــة العربيـــة أو الخلافـــة. وعندهم كان الخلط بين "اليهود" و"الصهاينة" كاملا. فكـــل اليـــهود عمـــلاء "للصهيونية العالميـــة".

– من الحكومات المصرية المتعاقبة التابعة للإنجليز والخاضعة لسراي الملك فاروق– التي كانت تخشى قوة الوطنية المصرية، وكانت تجـــد فـــي "التضامن مع عرب فلسطين" سلاحا ووسيلة لتجعل الجماهير المصرية تنسى أنه قبل "تحرير فلسطين" يجب أولا تحرير مصر من المحتل البريطاني.

- من الطائفة اليهودية في مصر وهي في غالبيتها "من اليهود الشرقيين"، ولم تكن في مجموعها "صهيونية"، على الأقل بالمعنى المتعارف عليه لهذا الاصطلاح. ففي غالبيتهم الساحقة لم يشعر يهود مصر بأي حاجة للهجرة إلى فلسطين أو أي مكان آخر. فوضع هذه الطائفة لم يكن يقارن بأي حال من الأحوال بالطوائف اليهودية في أوروبا الشرقية. ومع ذلك فقد كانوا يتعاطفون بشكل واضح مع المهاجرين اليهود الذين كانوا يبحثون عن النجاة من عذاب النازي ولو على حساب الظلم الشديد لعرب فلسطين، مع الريبة تجاه الوطنية المصرية الملونة كثيرا حسب رغبتهم "بالعروبة" و"الإسلام"، الأمر الذي منعهم من الاشتراك في نضالات الحركة الوطنية المصرية. وذلك طبعا باستثناء الشيوعيون اليهود الذي كان عليهم أن يلعبوا فى هذه الحركة دورا تاريخيا هاما.

وكان انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإلغاء الأحكام العرفية، التي فرضت أثناء الحرب يتميز ببدء نشاط سياسي مكثف، ودخول الشيوعيين المصريين، في الواقع، في الحياة السياسية للبلاد.

وفي ٢ نوفمبر ١٩٤٥ اليوم العالمي لإعلان بلفور الذي وعد بإنشاء "وطن قومي" لليهود في فلسطين وجد الإنجليز والحكومات المصرية الفرصة جيدة لخلق حركة لحرف الأنظار لنسيان المطالب الوطنية المصرية. وعن طريق المنظمات الموالية للفاشية خصوصا الاخوان المسلمين نظموا في القاهرة مظاهرة معادية لليهود فهاجموا الحي اليهودي، ودمروا معبدا يهوديا الخ. وساندت حملة واسعة من الصحافة هذه المظاهرات. وقرر الشيوعيون المصريون وأساسا الحركة المصرية للتحرر الوطني أن يعارضوا علنا هذا التوجه. وزع الشيوعيون آلاف المنشورات واختلطوا بجماهير المتظاهرين وأنزلوا شعاراتهم. حذر الشيوعيون الجماهير من المناورة الإمبريالية ورفضوا بحزم معاداة اليهود. واستطاعوا بشجاعة باشتراكهم مع هذه الجماهير المتعصبة والمتأثرة بالإخوان المسلمين ونجحوا في إعطاء المظاهرات طابعا وطنيا معاديا للإمبريالية.

ومنذ هذا اليوم حتى عام ١٩٤٨ لم تنجح أي مظاهرة معادية لليهود. وأصاب زرع هذه النعرة فشلا كاملا. وفي يوم ذكرى وعد بلفور عام ١٩١٦ و١٩٤٧ انتقلت المبادرة إلى الشيوعيين ولم تنجح المنظمات الفاشية في تحقيق أي نجاح في محاولاتها. ووزع العديد من المنشورات التي تكشف معاداة اليهود كسلاح لحرف الحركة الوطنية عن أهدافها.

تقسيم فلسطين وحرب ١٩٤٨:

في عام ١٩٤٧ توحدت المنظمتان الشيوعيتان الرئيسيتان

- الحركة المصرية للتحرر الوطني واسكرا (شرارة)- وتكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني واختير هنري كورييل سكرتيرا عاما لها. وركزت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني على المطالب الوطنية المصرية في إطار كفاح كل شعوب الشرق الأوسط ضد الإمبريالية ومع مساندة المعسكر الاشتراكي العالمي.

وفي نوفمبر ١٩٤٧ قدم جروميكو للجمعية العامة للأمم المتحدة تقريره الشهير عن فلسطين. نظرا لاستحالة تحقيق قيام دولة واحدة عربية ويهودية فإن تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين الأولى عربية والثانية يهودية يتعاونان معا بعد جلاء إنجلترا الدولة المعتدية، أصبح أمرا مطلوبا وحتميا من الناحية العملية. وافقت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة بأغلبية ساحقة على قرار التقسيم.

لم يكن هذا القرار حلا "عادلا" من الناحية المثالية ولكنه كان حلا عمليا كان يسمح على الأقل بإنهاء النزاعات الحادة بين الطائفتين. ولكنه واجه معارضة شديدة من الأوساط العربية الرجعية بمساعدة إنجلترا وهي القوة العظمى الوحيدة التي لم توافق على قرار هيئة الأمم المتحدة.

ساندت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني قرار التقسيم وذلك رغم معارضة غالبية الأحزاب السياسية المصرية. ونشرت ذلك في جريدتها "الجماهير" وفي العديد من المنشورات نصف السرية التي وزعت بشكل واسع، وذلك رغم معارضة عدد من الأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط.

بينت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني أنه لا يجب السير وراء القادة الرجعيين العرب. وأن إعلان الحرب هو الوقوع في فخ لعبة الاستعمار البريطاني الذي يرمي إلى الحفاظ على سيطرته.

كلف هذا الموقف الواضح والشجاع حدتو كل أنواع العنف والمتاعب: قنابل أمام الجريدة "الجماهير" وأمام منزل هنري كورييل، اعتقالات، عمليات تفتيش متكررة، غرامات، اعتداءات مادية ضد المناضلين طوال الشهور الأولى من عام ١٩٤٨، وأصبح واضحا أن معارضة الحكومات العربية لمشروع التقسيم اتخذت شكل تدخل مسلح بتشجيع من الإنجليز.

وحاول مناضلو حدتو أن ينظموا المقاومة ضد الحرب حتى داخل القوات المسلحة. ومن الأعمال العديدة نذكر بشكل خاص الموقف الشجاع لمجموعة من ميكانيكي سلاح الجو الذين رفضوا في مارس ١٩٤٨ أن يعملوا ساعات إضافية للإعداد للحرب. قبض على ١٥ منهم ونفوا إلى الواحات.

وبينما كان البوليس يقوم بإعتقالاته صدر العدد الأخير من جريدة "الجماهير" قبل إغلاقها والذي صدر في أول مايو ١٩٤٨ ونشر فيه بيان للمكتب السياسي لحدتو يندد بالحرب الرجعية التي يعد لها.

وفي ١٥ مايو ١٩٤٨ أعلنت الأحكام العرفية فى مصر. وسمح الجيش الإنجليزي الذي كان يحتل منطقة السويس للجيش المصري أن يتقدم داخل سيناء نحو فلسطين مبرهنا بذلك مرة أخرى أنه كان المحرض الحقيقى لهذه الحرب "العربية". وقامت الفرقة العربية في شرق الأردن التي كان يقودها

الجنرال جلوب باشا الإنجليزي بعبور الأردن إلى القدس، موجهة بذلك ضربة مميتة ليس إلى دولة إسرائيل وإنما إلى الدولة الفلسطينية المستقلة التي قررتها هيئة الأمم المتحدة.

وقد بينت حدتو أن هذا كله ليس له أي علاقة مع المطالب الوطنية المصرية ولا مع المصالح الحقيقية للعرب في فلسطين. وجاءت النتيجة سريعاً: أغلقت جريدة "الجماهير" نهائيا. وألقى بالعديد من القادة والمناضلين الشيوعيين ومن بينهم هنري كورييل في السجون ومعسكرات الاعتقال. ولأول مرة في مصر يعتقل من بينهم نساء أيضا.

وأثبتت الأحداث سريعا أن تحليل حدتو للأحداث كان سليما. فقد أقيمت دولة إسرائيل ونجحت في الدفاع عن حدودها في وجه الجيوش العربية. وضمت شرق الأردن بكل بساطة الضفة الغربية وضمت مصر قطاع غزة. وماتت دولة فلسطين المستقلة قبل أن تولد دون أن يثير ذلك استنكار من يدعون أنهم الأبطال المزعومين لحقوق الفلسطينيين. ونشأت مشكلة جديدة مؤلمة هي: مئات الآلاف من اللاجئين العرب من فلسطين الذين تجمعوا في مخيمات على حدود دولة إسرائيل الجديدة.

ورغم اضطرار حدتو إلى اللجوء إلى السرية الشديدة فإنها لم تغير مواقفها. ففي مجلتها السرية "المقاومة" أدانت تدخل الجيوش العربية في فلسطين. وبينت للجماهير المصرية الحل الوحيد الممكن لمشاكلهم: وهو النضال ضد الاستعمار من أجل التحرر الوطني. "جبهتنا للقتال ليست في فلسطين وإنما في منطقة قنال السويس وفي السودان". ووزع المناضلون المنشورات رغم المخاطر الكبيرة التي كانوا يتعرضون لها: معسكرات الاعتقال أو الأحكام التي تصل إلى ١٥ سنة من السجن.

وفى اليوم الذي سمى بيوم "الفالوجة" اعتقل ثلاثون من الشيوعيين في القاهرة بينما كانوا يوزعون منشورات تدين الحرب والفضائح التي تبعتها، بيع المقربين من الملك لأسلحة فاسدة إلى الجيش، وفضائح مالية الخ.

وكان هناك شيوعيون يحاربون في كتيبة سودانية أرسلت إلى الجبهة. ورفضت الكتيبة أن تحارب وطالب الجنود بالعودة إلى بلادهم. واضطروا إلى إعادة الكتيبة إلى السودان.

وفي أغسطس ١٩٤٨ في ظل نظام الأحكام العرفية أرسل ١٧ شيوعيا معتقلا رسالة شديدة إلى السلطات تدين الطابع الرجعي للحرب والضرر الذي تسببها الحركة الوطنية.

وفي ١٩٥٠ رفعت أخيرا الأحكام العرفية. وأغلقت معسكرات الاعتقال في عهد حكومة الوفد. وكان هنري كوربيل من بين المجموعة الأخيرة التي أفرج عنها. ولكن وبعد أسابيع قليلة قبض عليه دون سبب. ورغم تمتعه بالجنسية المصرية أبعد إلى إيطاليا البلد الأصلي لآبائه.

***

بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)*
حول قرار زعماء الجامعة العربية

(الجماهير، القاهرة، ٢١ ديسمبر ١٩٤٧)

أيها المواطنون

أجتمع رؤساء الحكومات العربية خلال الأسبوعين الأخيرين وأذاعوا على العالم انهم على وشك اتخاذ قرارات عملية خطيرة تهتز لها أركان المعمورة. وتم الاجتماع في ظروف حاسمة بالنسبة لمستقبل الشرق العربي، فالقضية المصرية راكدة بين ملفات مجلس الأمن والاستعمار سائر في خطته لفصل السودان وإدماجه في الإمبراطورية البريطانية، ولازال العراق وشرق الأردن يرزحان تحت وطأة قوات الاحتلال وتدخل الاستعمار الأمريكي في شؤون المملكة العربية السعودية يزداد يوما بعد يوم ويهدد استقلال سوريا ولبنان. والاستعمار البريطاني يعمل جاهدا على التخلص من قرار الأمم المتحدة الذي يقضي بإلغاء الانتداب والجلاء عن فلسطين.

تطلعت الشعوب العربية المستعبدة المكافحة من اجل حريتها وسيادتها الوطنية لعل في قرارات رؤساء حكوماتها ما يساعدها على الخلاص من نير الاستعمار والاستبداد. وأخيرا صدر البيان .. فإذا به يتجاهل وجود الاستعمار في شرقنا العربي تجاهلا تاما. وإذا به يزمجر ويغلي دون أن يذكر كلمة واحدة عن قضايا شعوبنا الوطنية المشروعة ودون أي توجيه

---

* صدر هذا البيان في الأسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٤٧. ووزع على نطاق واسع، ثم أعيد نشره في "الجماهير" عدد ٢١ ديسمبر ١٩٤٧.

لكفاحها ضد عدوها اللدود الاستعمار، وحصر البيان نفسه في الحديث عن اليهود، وما يدبره رؤساء الحكومات العربية ضدهم.

إن سياسة موالاة الاستعمار التى سار عليها رؤساء الحكومات العربية هي المسؤول الأساسى عن تقسيم فلسطين. فلقد كان ولا يزال الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على إيجاد جو من الألفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية. ولكن زعماء الجامعة العربية الحاليين وزعماء الصهيونية الخونة .. في الوقت الذي كانت فيه هيئة الأمم المتحدة تدرس القضية الفلسطينية ملأوا العالم صياحا بإعدادهم للحرب بين العرب واليهود الأمر الذي أدى بالقوى الديمقراطية فى هيئة الأمم إلى الموافقة على التقسيم باعتباره الحل العملي الوحيد في الظروف الحاضرة، والذي يحقق إلغاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات الاستعمارية عن الأراضي المقدسة.

واليوم وقد اتخذت هيئة الأمم قرارها بإنشاء دولتين مستقلتين على أساس إلغاء الانتداب وجلاء القوات الأجنبية عن فلسطين فان الطريق الوحيد لتوحيد الدولتين الجديدتين يكمن في المساهمة الجدية في طرد الاستعمار مصدر التقسيم والانقسام، وإيجاد جو من الثقة والألفة بين العرب واليهود والكفاح ضد محاولات التفرقة العنصرية الاستعمارية.

ولكن رؤساء الحكومات العربية بدلا من أن يتخذوا مثل هذا الموقف كى يخلقوا الظروف المناسبة لتقدم الجماهير العربية واليهودية نحو الوحدة اصدروا بيانهم العنصري الاخير مهددين فيه بالحروب والفتن الدينية ضد اليهود في الشرق العربي بأسره.

وهكذا فان رؤساء الجامعة العربية لازالوا مستمرين في سياسة الاستعمار التي أدت إلى انقسام فلسطين وتقسيمها والتي من شأنها أن تزيد من الفرقة والانقسام بين سكان فلسطين وتقضي بذلك على كل اتجاه نحو الوحدة وتعطي الفرصة للاستعمار لإرسال قواته وسيطرته على الأراضي المقدسة.

أيها المواطنون

إن الاستعمار والرجعية العربية في ازمة. فقد استقلت سوريا ولبنان وها هي فلسطين على وشك الاستقلال. وفي مصر حدد الشعب مطالبه بالجلاء عن مصر والسودان دون تحالف أو محالفة، ونادى ولا يزال ينادي بالكفاح المسلح ضد الاستعمار. وفي العراق وشرق الأردن تزداد مقاومة الجماهير للاستعمار، وفي كافة البلدان العربية تقف الحركة الوطنية حجر عثرة في سبيل المشروعات الاستعمارية. وتعاني النظم الحاضرة أزمة اقتصادية اجتماعية، ويزداد كفاح الجماهير يوما بعد يوم من اجل مستوى معيشتيا ومن اجل حياة انسانية سعيدة.

وقد أخذت الحكومات العربية الحاضرة والعهود التي تمثلها تتكشف أمام الجماهير وتنفضح سياستها المواتية للاستعمار والمعادية للديمقراطية، وأخذت حركة المعارضة تشتد وتتسع.

أمام هذه الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية يرى الاستعمار والرجعية ألا مخرج لهما منها سوى إشعال حرب العنصرية في الشرق العربي، تلهى الشعوب عن أهدافها الوطنية ومطالبها الاقتصادية والاجتماعية وتحول أنظارها عن العهود الحاضرة المعادية للديمقراطية، وقد وجدوا في فلسطين نقطة البدء لتحقيق هذه السياسة الإجرامية.

في ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم البيان الذي اصدره رؤساء الحكومات العربية، انه يرمي إلى وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا الوطنية المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار، انه يرمي إلى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح، انه يرمى إلى تحويل أنظار المعارضة الوطنية الديمقراطية عن العهود الرجعية الحاكمة في الشرق العربي ةعن مؤامراتها لتكتيله في كتلة استراتيجية خاضعة للاستعمار.

أيها المواطنون

احذروا، واستيقظوا، فالمؤامرة خطيرة واسعة، وأعوان الاستعمار الذين كادوا أن يكبلوا وطننا بمشروع صدقي بيفن هم أنفسهم الذين يساهمون مع نوري السعيد (صدقي، العراق) وزعماء شرق الأردن (أصدقاء بريطانيا الأوائل) في تنفيذ هذه الخطة الآثمة.

إن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني لتتجه إلى كافة الوطنيين الديمقراطيين في الشرق العربي للنضال ضد هذه المؤامرة الاستعمارية والكفاح من اجل وحدة الشعوب العربية، وإعلان الحرب الوطنية المقدسة ضد الاستعمار، وتدعو كافة الوطنيين والمخلصين لقضايا الشعوب العربية إلى توحيد صفوفهم بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية والسياسية في جبهة وطنية متماسكة والاستعداد للكفاح المسلح لتحرير وادي النيل من براثن الاستعمار، فوادي النيل الحر الديمقراطي خير ضمان لاستقلال الشرق العربي باسره وكفاحنا من اجل وادي النيل هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين والشرق من الاستعمار والخونة.

- عاشت فلسطين حرة مستقلة.
- عاشت وحدة الشعوب العربية.
- لتسقط مؤامرة الحرب الدينية.
- عاشت الحرب الوطنية ضد الاستعمار.
- عاش وادي النيل حرا ديمقراطيا.
- وليسقط الاستعمار وأذنابه.

***

محضر مناقشة مع هنري كورييل

(أجرى المناقشة الدكتور رفعت السعيد في باريس في ١٩٧٣/٤/٢)

(حول قرار تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧)

س : ما هي حقيقة وتطورات موقفكم تجاه القضية الفلسطينية؟

جـ: كان موقفنا منذ البداية واضحا جدا فمنذ أيام ح.م ثم بعدها في "حدتو" كنا ندين الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من معسكر الأعداء. وقد ركزنا جهودا كبيرة في عزل الصهيونيين عن المجتمع اليهودي في مصر، وقاومنا في نفس الوقت الدعاوى العنصرية التي حاولت صرف الكفاح، من كفاح سياسي ضد الاستعمار وضد الصهيونية كحركة استعمارية، إلى كفاح عنصري ضد اليهود، وكنا نعتقد ان العنصرية التي كان الأخوان المسلمون دعامتها كانت خير معين للصهيونية لانها كانت تدفع بالإنسان اليهودي العادي الذي عاش طوال حياته في مصر إلى أحضان الصهيونية ومن هنا فأننا كما قاومنا "الصهيونية" كحركة رجعية، قاومنا أيضا دعاوى الإخوان المسلمين العنصرية باعتبارها خطرا يؤدي إلى انتشار الفكر الصهيوني وسط اليهود المصريين.

وكنا قد أسسنا "الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية" وتعرضت هذه الرابطة إلى هجوم مزدوج من الصهيونية ومن الحكومة المصرية التي كانت تتستر على الصهيونية.

وفي ٢٧ نوفمبر جاء قرار التقسيم، وأذكر ان تطورات الإحداث كانت سريعة ومتلاحقة ولست أعتقد أننا فهمنا قرار التقسيم أو مبرراته في بداية

الأمر- فهما كاملا، لكن مجموع الحركة الثورية العالمية كان يسير في اتجاه تأييد هذا القرار، وترددنا في البداية، ثم قررنا تأييده. ألقيت قنبلة على بيتي وقنبلة أخرى على مقر مجلة "الجماهير" وبدأ التحضير للحرب على قدم وساق.

س : وماذا بعد أن قامت الحرب في ١٥ مايو ١٩٤٨، وتحمس الجماهير الشعبية لها، ألم تشعروا بعزلة "التنظيم" عن الجماهير بسبب هذا الموقف؟

جـ: لمدة قصيرة انجرفت الجماهير الشعبية في تيار الحرب. والحقيقة أننا وقفنا وحدنا لفترة، فمثلا في كثير من القضايا الوطنية المتعلقة بالنضال ضد الاحتلال الإنجليزي لم تكن هناك فروق واضحة بيننا وبين حزب الوفد. أما في قضية فلسطين فقد كان الفرق واضحا وبارزا بيننا وبين كل القوي السياسية في البلاد.

ومنذ الأسابيع السابقة للحرب بدأنا نشعر بأصبع الاستعمار الإنجليزي، فإنجلترا انسحبت بشكل غير منظم أو منتظم من فلسطين، ودون تنفيذ مسؤولياتها كدولة انتداب بتسليم المسؤوليات لسلطة ما، ولم تعترف بقرار التقسيم.

ومن هنا بدأنا نقول ان ثمة معسكرين في البلدان العربية معسكر الشعوب العربية، وفي مجابهة معسكر فاروق نوري السعيد الملك عبد الله وسادتهم من الانجليز، والمعسكر الاخير كان متحمسا جدا للحرب والذي جعلنا نتشبث بموقفنا هو ان الاستعمار الإنجليزي وعملاؤه كانوا أكثر القوى حماسا للحرب، أليس في ذلك وحده ما يكفي لان يجعلنا نرتاب في أهداف هذه الحرب؟

وجاءت حرب ١٥ مايو فاذا بنتيجتها الأولى هي المعتقلات والإرهاب لكل القوى الوطنية، وأقول ليس للشيوعيين الذين أيدوا قرار التقسيم وحدهم وإنما لكل وطني أو عدو للاستعمار، وهنا بدأت تتضح أهداف الرجعية العربية من الحرب.

وأنت تسأل ألم يؤد هذا الموقف إلى عزلتنا؟ وأقول لا .. في البداية كـ ' وحدنا ثم عندما باتت القوى السياسية الوطنية والمناهضة للاستعمار تلمح آثار هذه الحرب وكيف أنها استخدمت أساسا كمبرر لإرهاب كل القوى الوطنية ولوضع قادتها في المعتقلات والسجون بدأ الكثيرون يؤمنون بصحة شعاراتنا ..

وأود أن أسألك أنا سؤالا، هل تعرف لماذا كانت "حدتو" هي التنظيم الوحيد المؤهل لان يقيم علاقة وثيقة ومنذ البداية مع تنظيم الضباط الأحرار؟ الجواب في رأيي هو أن "حدتو" كانت التنظيم الوحيد الذي أثبتت الأيام صحة موقفه من قضية فلسطين. وقد كان الضباط هم أول من شعر بذلك، لانهم كانوا أكثر من تأثر بحرب فلسطين ..

ورويدا رويدا بدأت القوى السياسية المختلفة تقتنع اننا كنا الوحيدين الذين قلنا رأيا صحيحا أبان حرب فلسطين.

صحيح أننا عزلنا لفترة من الوقت، ولكن لم يمض سوى وقت قصير جدا حتى أصبحنا قوة سياسية فعالة، ففي ١٩٥٠ كانت "حدتو" في أوج قوتها وجماهيريتها، كنا نحرك جموعا هائلة تحت شعاراتنا، ولم يكن هذا من قبيل المصادفة.

ومن ثم فقد بدأت محاولات مرسومة لحرف الأنظار عن الفهم الحقيقي لحرب فلسطين وبواعثها ونتائجها ومن ثم فقد أثيرت قضية "الأسلحة الفاسدة".

أعود فأكرر أننا كسبنا جماهيريا وسياسيا وتاريخيا من قبولنا لقرار التقسيم لأننا كنا القوة السياسية الوحيدة التي قالت الحقيقة وجابهت الجميع برأي صحيح.

وأسألك الآن هل تتخيل خريطة العالم والشرق الأوسط لو إن العرب قبلوا في ذلك الحين قرار التقسيم؟ لاشك أن الموقف كان سيتغير كثيرا، ولاشك في أن إسرائيل كانت ستصبح اضعف كثيرا وأقل تأثيرا.

وإذا عدنا إلى موقف الأعداء، نرى أن الصهيونيين قبلوا قرار التقسيم على مضض وعندما رفضه العرب ابتهجوا ووجدوا الفرصة السانحة للتخلص من هذا القرار.

ولكن يجب أن تعلم أننا عندما قبلنا قرار التقسيم قبلناه على أساسا انه الحل الوحيد المتاح وليس على أساس أنه أفضل الحلول. وأؤكد ان عدم قبول قرار التقسيم قد جر على العرب كثيرا من الكوارث. وأننا كنا الوحيدين الذين تلمسنا الطريق للموقف الصحيح وبهذا فان من حقنا أن نشعر بالفخر بموقفنا هذا.

***

تابع هنري كورييل وهو لاجئ في فرنسا التحولات التي شهدها مصر بوصول الضباط الأحرار إلى الحكم. ألغى نظام فاروق، وأعلنت الجمهورية. وعرف أن على النظام الجديد أن يواجه سريعا المشاكل الحيوية في البلاد:

- من ناحية تدعيم الاستقلال الوطني بالجلاء الكامل للقوات الإنجليزية.

- ومن ناحية أخرى العلاقات مع دولة إسرائيل.

وفي أغسطس ١٩٥٣ وجه إلى رفاقه التقرير التالي.

مذكرة حول العلاقات
بين إسرائيل والبلاد العربية

(أ) أهمية القضية

إن مشكلة العلاقات بين إسرائيل من ناحية والبلاد العربية عامة ومصر خاصة من ناحية أخرى هي مشكلة ذات أهمية حيوية للأسباب التالية:

أ إن العلاقات الحالية بين البلاد العربية وإسرائيل تمثل خطرا كبيرا على السلام في الشرق الأوسط. هذا واضح ونرى أنه لا داعي للتوسع في شرحه.

ب- إن العلاقات الحالية بين البلاد العربية وإسرائيل هي عقبة كأداء في طريق التحرر الوطني للشعوب العربية.

إن العلاقات الحالية تسمح في الواقع للإمبرياليين وعملائهم في البلاد العربية إن ينظموا استفزازات لحرف الشعوب العربية عن النضال لتحررها. إن مغامرة ١٩٤٨، الذي كان ذلك هو أحد أهدافها الرئيسية، يمكن أن تتكرر في أي لحظة.

يضاف إلى ذلك أن الجيش الإسرائيلي المكون من مائة ألف مقاتل مسلح بواسطة الأمريكان، ليس مخصصا في المشاريع الإمبريالية ضد البلاد الديمقراطيه وحدها، ولكنه مخصص أيضا لكي يلعب في الشرق الأوسط دور "الشرطي" ضد حركات التحرر الديمقراطية.

وأخيرا فإن العلاقات الحالية بين البلاد العربية وإسرائيل هي عقبة كبيرة في طريق نضال هذه الشعوب من أجل نظام ديمقراطي. وفي الواقع أنه في كل مرة تظهر فيه المطالب الديمقراطية بشكل ملح، فإن لعبة

الحكومات الرجعية في السلطة في البلاد العربية أن تثير أحداثا لحرف انتباه الجماهير، أو أن تعلن الأحكام العرفية الخ:

١- بعدم قبولها مشروع التقسيم الذي كان يؤدي إلى إقامة دولة عربية في فلسطين. ولكنهم خشوا إقامة دولة عربية ديمقراطية.

٢- بقيامهم بمغامرة عسكرية انتهت بكارثة ليس لجيوش الدول العربية وحدها، وإنما وقبل كل شئ بالنسبة لعرب فلسطين. ولأن قادة البلاد العربية هم الذين يتحملون الجزء الأكبر من المسئولية في خلق المشكلة المحزنة للاجئين. وبشنهم هذه الحرب بتحريض من الامبرياليين فإن هذه الطبقات التي كانت تدعي أنها تساعد عرب فلسطين كانت تهدف إلى أهداف أخرى. كانوا يريدون حرف جماهير بلادهم عن مشاكلهم الحقيقية واستغلال حالة الحرب لتصفية المنظمات الشعبية التي تنامت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي كانت تهدد امتيازاتهم الكبيرة.

٣- أصبحت الخيانة واضحة تماما عندما قبلت كل الحكومات العربية إنشاء الأردن التي وجهت ضربة خطيرة للأمة العربية الفلسطينية والتي جعلتها تخضع لنير السادة الحقيقيين للأردن وهم الإمبرياليين الإنجليز.

٤- ويتحمل القادة المسئولون الذين قاموا بدور "قادة" كل الخيانات التالية، يتحملون مسئولية خاصة. فقد استعمروا منطقة غزة، وسودوا فيها الإرهاب، وانتزعوا من عرب هذه المنطقة كل حقوقهم الوطنية والديمقراطية وحولوهم إلى تابعين حقيقيين. وجعلوا منها ملكية مصرية حقيقية وما كانوا يترددون في "تقديمها" إلى الإمبرياليين الإنجليز لدفعهم للجلاء عن منطقة قناة السويس.

(ب) تريد الطبقات الحاكمة العربية الحفاظ على الوضع الحالي للدفاع عن مصالحها الطبقية الأنانية.

ويتلخص الوضع الحالي في نقطتين أساسيتين: وجود توتر ووجود حصار اقتصادي. والحفاظ على هذا الوضع يفيد الطبقات الحاكمة. وقد رأينا بالفعل كيف أن وجود حالة التوتر يسمح للطبقات الحاكمة بحرف انتباه الجماهير. والحصار لا يقدم بأي حال المساعدة للاجئين العرب. انه يمثل خوف الرأسماليين المحليين العاجزين والفاسدين في مواجهة المنافسة الإسرائيلية. والحصار يسمح أيضا للرأسماليين وفي مقدمتهم الرأسماليين المصريين للاحتفاظ بأسواق البلاد العربية. وهو يمثل أيضا الخوف من الصلة بحزب شيوعي شرعي يضم مكافحين وقادة عرب ولديه صحافة عربية وكذلك منبر برلماني. وتخشى الحكومات العربية فوق كل شئ ألا يمثل هذا المثال خطرا عليهم. انهم يخشون أن العلنية التي تعطى لعمل هؤلاء النواب العرب ولمداخلاتهم، تبين للجماهير العربية الوجه الحقيقي للشيوعيين.

أما بالنسبة للاجئين العرب، فإنهم لا يعاملونهم كأخوة وإنما كأعداء: يمنعون من التحرك في مصر أو الإقامة أو العمل الخ. ولا يوجد أي مجهود للتخفيف من معاناتهم القاسية. ويريدون الاحتفاظ بهم في هذا الوضع المؤلم حيث يوجدون لاستخدامهم كعناصر للإثارة عندما يحتاجون لحرف انتباه الجماهير. ولمعرفتهم بروح الأخوة بين الشعوب العربية فإنهم يحاولون استغلالها لأهدافهم.

(ج) السلطة الحالية في مصر تسير على نفس سياسة السلطة التي سبقتها

إن السلطة الحالية التي استفادت من المساندة الشعبية لتثبيت سلطتها وعدت بتغيير السياسة. ولكن منطق موقفها المعادي للشعب يجعلها تتبع نفس سياسة أسلافها.

١- وكان أحد أعمالها الأولى تصفية "الحكومة الفلسطينية" التى دفنتها الجامعة العربية. صحيح أن هذه "الحكومة" كانت شديدة الرجعية، ومع ذلك فإن تصفيتها يعنى الاعتراف النهائي بضم جزء من فلسطين العربية إلى شرق الأردن. وأساسا هدم البقايا المتبقية من التمثيل المستقل للأمة العربية الفلسطينية.

٢- وهي تواصل سياسة الاستفزاز لتحويل انتباه الجماهير. وهذا يستخدم بأسلوب لا جدال فيه هذه الأسابيع. وهي لرغبتها في الوصول إلى اتفاق الإمبريالية والعمل لهذا الغرض على تحطيم المعارضة الشعبية، فإنها لا تستخدم فقط "المؤامرة" التقليدية، بل إنها تلعب حتى النهاية بلعبة "تدمير" اسرائيل.

ورغبة منها في إرضاء الإمبرياليين فإنها تحافظ على الحصار وتقويه. وتنتهك حقوق عرب غزة وتحاكم العناصر الديمقراطية التي تعتقلها وفقا لحالة الأحكام العرفية الخ.

(د) تقاليد حركتنا

وفي مواجهة إفلاس وخيانة الطبقات الحاكمة فإن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني ممثلة للطبقة العاملة تخدم المصالح الوطنية الحقيقية.

وأحد أمجاد حركتنا أنها في مصر بطلة الأممية البروليتارية وان موقفها تجاه العلاقات بين مصر والسودان هي أحد مظاهر هذه الأممية. وموقفها بخصوص الدور القيادي للاتحاد السوفيتي هو مثل آخر. وأخيرا موقفها حول المشكلة الفلسطينية هو من أنصع الصفحات في تاريخها.

وإن ما سمح لحركتنا أن تتخذ مواقف سليمة هو أنها منذ نشأتها قامت بنضال لا هوادة فيه داخل صفوفها: ليس فقط ضد الانحرافات "الأجنبية"، وإنما أيضا وقبل كل شئ ضد الانحرافات القومية (النضال ضد مرسي

ومجموعته في ١٩٤٣-١٩٤٤). وإن النضال الجاد ضد الشوفينية في المسألة السودانية شكل أيضا أممية حدتو.

لقد دخلنا المسرح السياسي في مصر في أكتوبر ١٩٤٥. ومنذ ٢ نوفمبر من نفس السنة وبمناسبة ما يسمى "بيوم فلسطين" الذي نظمته الأخوان المسلمون بتحريض من الامبرياليين الإنجليز اتخذت الحركة موقفا من هذه المسألة. فوزع منشور بهذه المناسبة. ففي الوقت الذي كشفت فيه الصهيونية باعتبارها أداة للامبريالية، فإنها كشفت أيضا "يوم فلسطين" باعتباره محاولة لحرف الحركة الصاعدة للنضال الوطني. وبفضل الموقف الحاسم لحركتنا في هذه المسألة فشلت هذه المحاولة وأمكن للحركة الوطنية في ١٩٤٥-١٩٤٦ أن تتصاعد.

ولكن الحدث الذي نفخر به بشكل خاص هو موقف حدتو بعد قرار هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين. ويجب أن نقول بصوت عال: أن ما ساعدنا في اتخاذ هذا الموقف هو أن الاتحاد السوفييتي والبلاد الديمقراطية ساندته. وإن الاعتراف بالدور القيادي للاتحاد السوفييني يعني فهم أن مواقف الاتحاد السوفييتي تتفق تماما مع مصالح الشعوب ولهذا ساندنا التقسيم. ولم يمض وقت طويل لندرك مدى فائدة هذا الموقف لكل من اليهود والعرب، وكيف أن تطبيقه وخصوصا إنشاء دولة عربية ديمقراطية في فلسطين كان سيساعد قضية التحرر والديمقراطية والسلام في كل الشرق الأوسط. ولنا الفخر أننا كنا الوحيدين الذين دافعنا علنا عن هذا الموقف. أما الشيوعيون الآخرون فلم يجرؤوا على أن يتخذوا هذا الموقف علنا. قالوا أن الاتحاد السوفييتي بعيد ويجهل حقيقة الشرق الأوسط(!) أما حدتو وفي مواجهة موجة الشوفينية الصاعدة، دافعت بشدة عن موقفها لصالح الحركة الوطنية ولصالح الشعب المصري ولصالح الشعبين العربي واليهودي في فلسطين. ولم نتردد أبدا في مواجهة الشتائم والإهانات والتهديدات بل والاعتداءات (القنبلة التي وضعت أمام الجماهير وأمام منزل يونس). لقد كافحنا قبل وأثناء الأحكام العرفية، وناضلنا داخل المعتقل (المنشور الذي

صدر أثناء الإضراب عن الطعام فى يوليو ١٩٤٨ الذي نشرت عنه البرافدا)، وفي الخارج (المنشور الذي صدر بمناسبة الاحتفال بالمقاتلين العائدين من الفالوجا). واستمر الكفاح داخل الجيش بل وحتى في ميادين المعركة. أما كل الأحزاب الأخرى بلا استثناء فقد غمرتها الشوفينية وساهمت بحماس في المغامرة.

ومما يضاعف فخرنا أننا كنا في البداية الوحيدين في الشرق الأوسط، بينما اتخذت الأحزاب الديمقراطية لبعض الوقت موقفا شوفينيا، ولاشك أن اتخاذ حدتو موقف شجاع فى منشوراتها وبياناتها وصحافتها ساعد الأحزاب العربية الأخرى أن تصحح موقفها.

صحيح أنه ألقى بنا في معسكر الاعتقال وأن المحاكم العسكرية ملأت السجون بالشيوعيين. ولكن نفس الشيء حدث في البلدان العربية الأخرى، حتى في تلك البلدان التي كان موقف الأحزاب الشيوعية فيها ضد مشروع التقسيم كان الأكثر عنفا.

وصحيح أننا لم نستطيع أن نر من البداية ونكشف بالتالي مشار الإمبريالية الأمريكية لتحويل إسرائيل إلى قاعدة للعدوان ضد الاتحـ السوفييتي وضد حركات التحرر الوطنية والديمقراطية العربية. ولكننا قمنا بواجبنا الأساسي: وهو النضال ضد الرجعية في بلادنا، والنضال ضد الشوفينية عندنا. ويجب في الواقع أن ننوه أنه رغم كل الصعوبات التي جلبها هذا الموقف، فقد اتخذناه بحماس الحركة في مجموعها باستثناء أحد أو اثنين من المثقفين وهو ما يثبت إلى أي درجة كانت الحركة أساسا سليمة.

وصحيح في النهاية أننا لم ننجح في إفشال مشاريع الإمبريالية والرجعية ومنع المعاناة التي لا مثيل لها التي سببتها المغامرة الفلسطينية للشعوب العربية وفى مقدمتهم عرب فلسطين. ولكن الشيوعيين لم يتأخروا في قطف ثمار موقفهم السليم والشجاع. لقد فهم الشعب المصري أن الشيوعيين وحدهم كانت لديهم الرؤية السليمة: وفهم بتجربته الخاصة أن الحرب التي جر إليها

بزعم أنها تهدف لإنقاذ عرب فلسطين كانت في الواقع بتحريض من الإمبرياليين والرجعية لحرف أنظاره عن نضاله الوطني. هذا الموقف الذي اتخذه الشيوعيون وحدهم ضد كل الأحزاب التقليدية مثل نقطة تحول بالنسبة لمركز ونفوذ الشيوعيين من الناحية السياسية في المجال الوطني. وإن كل التحالفات التي عقدت منذ عام ١٩٥٠ مع الوطنيين والاشتراكيين والأخوان المسلمين والتي أدت إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيات ١٨٩٩، وتلك التي عقدت مع الضباط الأحرار التي أدت إلى سقوط نظام فاروق (مهما كانت التطورات المحزنة التي تبعت ذلك والتي نقول أن سببها سياسة خاطئة من الشيوعيين)، كان أساسها المواقف السليمة التي اتخذتها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في المسألة الفلسطينية.

ولكن منذ ذلك الوقت حدث ارتباك فكري! فهناك "مقالات الكاتب" الشجاعة ولكن المليئة بعدم الدقة، وفقرة في مشروع البرنامج خاصة بالتحديد بغزة والتي نشك في أنها وزعت وشرحت بشكل واسع.

ومن المؤكد أن موقف رفاقنا يختلف عموما عن مواقف الشيوعيين في البلاد العربية الأخرى، تلك المواقف التي استطعنا أن نحكم عليها في المؤتمرات الديمقراطية المختلفة. إن رفاق حدتو يثقون في الحزب الشيوعي الإسرائيلي وفي الشعبين اليهودي والعربي في إسرائيل. فهم ليسوا شوفينيين.

ولكن هذا لا يكفي. ماذا نفعل للنضال ضد الشوفينية التي يمثلها تأثير الطبقات الحاكمة بين الجماهير؟ ففي عام ١٩٤٨ عرف الشعب المصري موقف الشيوعيين المصريين من هذه المسألة رغم أنه لم يوافق عليه. هل هذا هو الوضع اليوم؟

من الواضح أنه إذا لم نكافح للدعوة لمواقفنا والدفاع عنها، فأننا سنترك للطبقات الحاكمة أن تفرض مواقفها، وهذا يعني أن نترك للطبقات السائدة المبادرة والقيادة في هذا المجال. وهذا يعني التخلي عن الموقف المستقل للبروليتاريا ويعني وضع البروليتاريا في ذيل البورجوازية.

وهى بالتأكيد مشكلة حادة. فالمواقف مختلطة. ولا نستطيع اتخاذ الموقف بالسهولة التي اتخذناه فيها عام ١٩٤٨ عندما بين الاتحاد السوفييتي الطريق السليم بأدق طريقة يمكن أن نأمل فيها. أما فى هذه المرة فعلينا أن نبذل جهدا أكبر لتشغيل عقولنا، وهو الأمر الذي لا نحب كثيرا أن نفعله، وهو الأمر الذي يجب أن نعترف به. ولا نستطيع أن نأخذ مثال الأحزاب الشيوعية الأخرى في البلاد العربية. ولكن هذا كله لا يعني إلا شيئا واحدا: هو أن حدتو هي التي عليها أن تتكلم عندما يسكت الآخرون، وأن على حدتو مرة أخرى أن تكون في الطليعة فى هذا المجال.

(ز) حليف قوي: الحزب الشيوعي الإسرائيلي على رأس القوي الديمقراطية في إسرائيل.

وفي ظل هذه الصعوبات فإن لدينا الفرصة على خلاف عام ١٩٤٨ أن يكون لدينا حليف قوي جدا: هو الحزب الشيوعي الإسرائيلى الطليعة المحنكة للطبقة العاملة في إسرائيل، وقائد القوى الديمقراطية العربية واليهودية هناك.

هذه القوى قوية جدا وقد أحرزت حديثا انتصارات لها أهمية كبيرة للغاية. ولنذكر واحدة تسمح لنا بتقييم قوتهم وفهم كيف يمكنها أن تساعدنا.

في مشاريع الإمبرياليين الأمريكيين والرجعية الإسرائيلية يجب أن تكون إسرائيل قاعدة للعدوان ضد الاتحاد السوفييتي والبلاد الديمقراطية الأخرى. يضاف إلى ذلك أن هذه البلد تقودها حكومة تعتبر من أكثر الحكومات خضوعا للأمريكيين. فبالاعتماد الكامل على السياسة السليمة للاتحاد السوفييتي، ورغم الاستفزازات الخطيرة التي حرض عليها عملاء الإمبرياليين الأمريكيين في إسرائيل (الاعتداء على المفوضوية السوفييتية في تل أبيب الخ)، فإن نشاط الحزب الشيوعي الإسرائيلي على رأس كل القوى الديمقراطية أجبر موسى شاريت وزير الخارجية الإسرائيلي على التعهد

رسميا بعدم الاشتراك في أي ميثاق عدواني موجها ضد الاتحاد السوفييتى والبلاد الديمقراطية.

قلنا أن على إسرائيل أن تلعب في مشاريع الإمبرياليين دور "الشرطي" للإمبريالية فى الشرق الأوسط. ولكن إذا اقتنع الشعب الإسرائيلي أن الشعوب العربية لا تهدد وجوده، وأن الحركات الوطنية والديمقراطية تتخذ موقفا وتناضل من أجل حل عادل للنزاع، فإن المشاريع الإمبريالية ستفشل مرة أخرى. وكما أنه لا يمكن استخدام الجيش الإسرائيلي ضد الاتحاد السوفييتي، فلن يمكن استخدامه ضد الحركات الوطنية والديمقراطية العربية.

ماذا يجب حتى تستطيع هذه القوى أن تلعب بشكل كامل دورا لصالحنا؟ يجب توفر عنصرين: أولا أن تتخذ القوى الوطنية والديمقراطية في البلاد العربية موقفا وتتحرك. وفيما يتعلق بنا في مصر. يجب أن نقول أنها فى الوقت الحاضر ضعيفة جدا. وثانيا يجب تعريف الجماهير بهذه المواقف وهذا التحرك الشعبي فى إسرائيل. نستطيع أن نكون متأكدين أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي سيعرف كيف يقوم بمهامه في هذا المجال.

ولكن القوى الديمقراطية في إسرائيل وعمل الحزب الشيوعي الإسرائيلى تستطيع مساعدتنا بقوة، بمعنى آخر. إنها موجودة وتكافح من أجل نفس الأهداف التي نكافح من أجلها. وليس هذا فقط بالنسبة للقضايا العامة التي تتحدثون عنها في رسالتكم: السلام والديمقراطية، ولكنها تكافح من أجل نفس الأهداف التي نكافح من أجلها حول مسألة العلاقات بين إسرائيل والبلاد العربية. إن الحزب الشيوعي الإسرائيلي يخوض بالاشتراك مع الحزب الاشتراكي اليساري خاصة نضالا ميدانيا لا هوادة فيه ضد الصهيونية والأيديولوجية الصهيونية. وفيما يلى على سبيل المثال تعريف الصهيونية الذي يقدمه ميكونيس السكرتير العام للحزب الشيوعي الإسرائيلى والذي نشر في "الطريق" المجلة النظرية للحزب الشيوعي الإسرائيلى في العدد رقم ٧ الصادر في يونيه ١٩٥٣: "وفقا للماركسية اللينينية كانت الصهيونية ومازالت

تيارا بورجوازيا رجعيا مرتبطة طوال سنوات وجودها بالإمبريالية، وهي متحالفة معها وتخدمها بإخلاص..."

ولهذا فإذا عرفت الشعوب العربية والشعب المصري على وجه الخصوص بوجود هذه القوى، سيكون ذلك ضربة حاسمة ضد النعرة الصارخة للشوفينية الذي تنميه الطبقات الحاكمة بكل قواها في صالحها وضد المصالح الوطنية.

يجب أن نعترف بأننا هنا أيضا لم نفعل شيئا جادا ولا بشكل منظم للتعريف بالنضال الكبير الذي يشنه الحزب الشيوعي الإسرائيلي: للدفاع عن المصالح العربية في إسرائيل، للدفاع عن مصالح اللاجئين، ضد السياسة الاستفزازية للحكومة الإسرائيلية، التي لا تختلف في شيء عن السياسة الاستفزازية للحكومات العربية[1]، وضد تقوية جيش العدوان الخ.

يجب تصحيح هذا الموقف بأسرع ما يمكن ونشر المعلومات على أوسع نطاق عن نشاط الحزب الشيوعي الإسرائيلي على رأس القوى الديمقراطية العربية واليهودية في إسرائيل وهم حلفاؤنا الأقوياء.

(ح) من أجل موقف مشترك للديمقراطيين في البلاد العربية:

في البلاد العربية الأخرى توجد قوى ديمقراطية لها قيمتها وقوية نسبيا في سوريا ولبنان. ولكن يجب أن نقول أن أحزابها الشيوعية لا تتخذ مواقف بالقوة والوضوح الكافيين حول مشكلة العلاقات مع إسرائيل. والنتيجة هو سيادة الإيديولوجية الشوفينية. واستخدمت هذه الإيديولوجية الشوفينية عام ١٩٤٨، وستستخدم بقوة أكبر في المستقبل.

---

[1]) منذ كتابة هذه الرسالة تغيرت سياسة الحكومة الإسرائيلية وأصبحت أكثر عدوانية من الحكومات العربية. وهذا لاعتبارات كثيرة، ولكن أحد الأسباب على الأقل فيما يخصنا: غياب مواقف وأعمال من جانب القوى الديمقراطية العربية.

ولهذا يجب أن نبذل قصارى جهدنا لنحقق على مجال البلاد العربية موقفا مشتركا حول هذه المسألة للقيام بنضال مشترك ونتقوى معا للتوصل إلى حل للمشاكل الجارية.

وأحد الأساليب الأكثر فعالية هو أن نتخذ موقفا وأن نناضل ضد شوفينيتنا.

(ط) من أجل مساعدة أخوية لعرب فلسطين:

إن العلاقات التي تربطنا بهم ليست فقط علاقات تضامن بين كل الشعوب وبين الشعوب العربية بشكل خاص. إن لدينا تجاههم مسئولية خاصة.

١) نحن نتحمل نصيبا كبيرا من المسئولية في المصير المحزن الذين آلوا إليه سواء في إسرائيل أو في الأردن أو كلاجئين فى البلاد العربية الأخرى.

٢) وتجاه عدد كبير منهم علينا مسئولية مباشرة لأنهم يعيشون في ظل الأحكام العرفية التي فرضتها الرجعية المصرية.

يجب أن ننزع عن الرجعية قناع النفاق بادعائها أنها تدافع عن فلسطين العربية وعن اللاجئين الفلسطينيين. ويجب أن نبين أنها المسئولة الرئيسية لمقتل الأمة العربية في فلسطين.

ويجب من ناحية أخرى أن نناضل للدفاع عن حقوق هذه الأمة. ويجب تقديم مساعدة لا حدود لها ليس فقط للشيوعيين الفلسطينيين الشجعان الذين يناضلون وسط المخاطر التي تهدد حياتهم من أجل بعث الأمة العربية الفلسطينية وإنما أيضا لكل القوى الوطنية بالمعنى الواسع للكلمة، الذي

يريدون هذا البعث وبناء دولة عربية ديمقراطية مع الاعتراف لإسرائيل حقها في الوجود كدولة مستقلة.

وهذا العمل سيساعدنا أيضا على النضال ضد الاتهامات التي تكيلها الرجعية بأننا نريد "خيانة" المصالح العربية في فلسطين. وبوضعنا المشاكل في المجال العملي نستطيع أن نرد بشكل أفضل. وكذلك بالتحالف مع القوى الوطنية للفلسطينيين العرب، وخصوصا مع لاجئ قطاع غزة.

مواقفنا:

مما سبق يتضح أن مواقفنا يجب أن تكون ما يلي:

أ) نحن نناضل من أجل بعث الأمة العربية في فلسطين، والتي دمرتها قبل كل شيء السياسة المغامرة والأنانية للطبقات الحاكمة في البلاد العربية.

ونحن نطالب قبل كل شيء، نحن المصريين، أن جزء فلسطين الذي تستعمره مصر يسلم إلى عرب فلسطين ويديرونه سياديا وديمقراطيا.

وإلى أن يتحقق ذلك نطالب:

- بإلغاء الأحكام العرفية
- إلغاء كل الإجراءات غير الديمقراطية
- العفو الشامل في قطاع غزة

ونطالب :

- أن يحكم اللاجئون أنفسهم وبشكل ديمقراطي.
- أن تلغي كل إجراءات التمييز ضدهم.

- أن تقدم لهم كل مساعدة أخوية حقيقية فى المجالين المادي والأمني.

وبهذه الطريقة يمكننا أن نحصل من الحكومات الإقطاعية والرجعية أن ترفع يدها عنهم فليس هم الذين لهم الحق في التكلم باسم الأمة العربية الفلسطينية. انهم السبب الرئيسي في الوضع الذي أدى إلى فقدان هذه الأمة.

لا إنهم الممثلون المنتخبون ديمقراطيا لعرب فلسطين الذين لهم وحدهم الحق في أن يناقشوا مشاكلهم مع إسرائيل. إن مشكلة اللاجئين ومشكلة حدود الدولة العربية الديمقراطية هي ـ كما يبدو لي ـ المشاكل الرئيسية. وفي كل هذه المناقشات سنقدم مساندتنا الكاملة لعرب فلسطين ومساندة الشعوب العربية الأخرى ومساندة المعسكر الديمقراطى بأكمله.

وبهذه الطريقة ستبعث الامة العربية بعد فترة محن ضخمة وتصبح أكثر قوة ومجدا من أي وقت مضى.

ب) نحن نناضل من أجل الحل السلمي للنزاع بين إسرائيل من ناحية والبلاد العربية وخاصة مصر من ناحية أخرى، ومن أجل إقامة علاقات صداقة مع الشعبين اليهودي والعربي في إسرائيل.

ويحاول الرجعيون الشوفينيون العرب مرة أخرى تحريض الجماهير ضدنا وسيتهموننا، وهم الخونة، بالخيانة، رغم أننا المدافعون الوحيدون عن المصالح الوطنية.

ولكننا نستطيع أن نبين أنه لا حل آخر. إذا وصلنا إلى أن نشرح للشعب خطر الوضع الحالي، وإذا كان الاستفزازيون وحدهم من ناحية أخرى هم الذين يستطيعون الحديث عن الحل عن طريق حرب جديدة، فلا يبقى إلا حل واحد: المفاوضات من أجل السلام. وسنبين كيف أن من يريدون الحفاظ على الوضع الحالي يدافعون عن المصالح الإمبريالية والرجعية.

وسنبين أنهم عندما يدعون أن حصارهم "سيقود إلى نهاية إسرائيل"، فأنه غباء؛ ذلك الذي يحاولون إقناع الشعب به بمساعدة العصا التي تسندها رقابة

حديدية وكل جهاز الأحكام العرفية والإرهاب. انهم بهذه الأكاذيب يخدعــون الشعب للإبقاء على وضع ملئ بالمخاطر للأمة. ولكنهم يخرجون منها بأرباح طائلة.

وإذا كان الديمقراطيون أنفسهم يقلقون مثلنا، وإذا تحدثـوا مثلنـا، عــن الخطر من أن يكسب الإمبرياليون والرجعيون العرب من الســلام لفــرض ميثاقهم "الميثاق الإمبريالي للدفاع عن الشرق الأوسط" فسنبين أن ذلك تقليــل من دور القوى الشعبية والديمقراطية في هذه المناطق، وأن التنــاقض بيــن إسرائيل والبلاد العربية ليس هو القوة التي تمنع ابرام هذا الميثاق، وانما هــو عمل كل الشعوب مع ذكر خاص لشعبي إسرائيل اللذين سيدافعا عن الســلام ويحصلان على الاستقلال.

ولكن نضالنا من أجل إقامة علاقات صداقــة مــع الشــعب اليــهودي (والعربي) في إسرائيل لا يعني تقليل نضالنا ضد الصهيونية، وإنما يتطلــب على العكس تقوية هذا النضال. فهذا النضال وحده سيمنع من الخلط بين حق الأمة اليهودية في إسرائيل أن تقيم دولتها المستقلة وبين الصهيونيــة. فــهذه الأخيرة تحاول أن تجعل من إسرائيل وطنا لكل اليهود. وهــذا ليــس فقــط يوتوبيا غبية، وهذا ليس فقط ضد مصالح كل يهود العالم الذيــن يعتــبرون مواطنين في بلادهم، ولكن هذا يكون، مع النتائج التوسعية التي تؤدي إليــها، أيديولوجية عدوانية ضد البلاد العربية. ويجب أيضا أن نضع في اعتبارنـــا العلاقات التي لا يمكن فصلها بين الصهيونية والإمبريالية العالمية.

*

في النضال من أجل هذه المواقف يجــب أن ندافــع عــن الأطروحات السابق ذكرها:

أ) خطورة المشكلة وأهمية الوصول إلى حل سواء لصـــالح الشــعوب العربية الأخرى أو لصالح الأمة العربية الفلسطينية المحكوم عليها بالفنــاء إذا لم نتوصل سريعا إلى حل.

ب) لقد أفلست الطبقات الحاكمة الإقطاعية والرجعية، أدوات الإمبريالية، إفلاسا كاملا في الوقت الذي خانت فيه المصالح الوطنية ومصالح الأمة العربية الفلسطينية.

ج) أن الشيوعيين المصريين، وحدتو بالذات، ممثلي الطبقات العاملة والجماهير الشعبية دافعوا دائما عن المصالح الوطنية وعن مصالح عرب فلسطين.

د) يجب أن نكافح ضد الشوفينية وأن نبين ان الممثلين الحقيقيين للشعبين اليهودي والعربي في فلسطين وفي مقدمتهم الحزب الشيوعي الاسرائيلي، طليعة الطبقة العاملة في إسرائيل هم حلفاؤنا الذين يكافحون من أجل نفس الأهداف التي نكافح من أجلها.

هـ) يجب أن نبين أن ممثلي الفلسطينيين العرب المنتخبين ديمقراطيا هم الذين من حقهم أن يناقشوا مصيرهم وليس ذلك من حق الحكومات الرجعية للبلدان العربية الأخرى الذين بينوا عجزهم والذين خانوا عدة مرات مصالحهم.

*

من أجل عمل منتظم لحدتو

في ارتباط بالتقرير السابق نقترح خطة العمل التالية:

١- مناقشة التقرير فى أقصر فترة ممكنة (ولكن علـى نطـاق اللجنـة المركزية الموسعة لتشمل الرفاق المعتقلين والموجودين في المنفى)، وإجـراء التعديلات اللازمة لإقراره.

٢- توزيع ومناقشة التقرير مع التعديلات التي قد تدخل عليه على نطاق كل حدتو.

٣- تقديمه للمناقشة إلى كل المنظمات الشيوعية المصرية بهدف اتخـاذ موقف موحد مع الاهتمام الشديد بمراعاة ملاحظاتهم.

٤- تنظيم النضال للدفاع عن مواقفنا على النطاق الوطنـي ومحاولـة التوصل مع المنظمات الأخرى إلى الاشتراك في هذا النضال.

٥- عرض مواقفنا على نطاق الجبهة الديمقراطية.

٦- عرض مواقفنا على نطـاق التقدميين العـرب وكـل المعسـكر الديمقراطي وفقا لكتيب سنقدمه حول اقتراحات مستقلة.

أيها الرفاق الأعزاء

كما هو الحال دائما فإنه بعد عرض أي قضية، فإننا نعمل على تقليبهـا أكثر من مرة للاستمرار في تعميقها.

ولكن الوضع السياسي في هذه المسألة خطير بدرجة أنه لا يوجد وقت لإضاعته خصوصا إذا وضعنا في الاعتبار الوقت الذي سيضيع حتى يصلكم هذا التقرير.

وأجرؤ على الأمل أنه على الرغم من نواقص التقرير فإنه سيكون مفيدا وسيمكن الاستفادة منه.

أقترح أنه على أساس النتائج التي ستصلون إليها تكتبون رسالة جديدة إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

"أغسطس١٩٥٣"

ملاحظات:

(١) كتب هذا التقرير بمناسبة رسالة أرسلت من قيادة حدتو إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

(٢) كتبت هذه الرسالة قبل أن يقوم النظام بتغيير توجهاته. ولقد تغيرت توجهاته كثيرا حول القضية الفلسطينية.

(٣) مشروع البرنامج الذي يتحدث عنه كوربيل هو مشروع برنامج أعدته حدتو.

***

" منذ ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ حاولت الحركة العالمية لأنصار السلام أن تبحث الدعوة عدة مرات للبحث عن حل سلمي للنزاع العربي الإسرائيلي. وبذل أنصار السلام في مصر وإسرائيل جهودا كبيرة في هذا الاتجاه دون اتصالات مباشرة بينهما. ولكن يبدو أن في الأفق نتائج إيجابية.

وفي الواقع أن الرئيس جمال عبد الناصر قام بمباحثات سرية ولكن محددة مع موشى شاريت وزير الخارجية الإسرائيلي باشتراك ناحوم جولدمان.

ولأول مرة منذ ١٩٤٨ تتوجه شخصية مصرية بارزة هو الأستاذ يوسف حلمي السكرتير العام للحركة المصرية لأنصار السلام تتوجه مباشرة إلى شعب إسرائيل. ورغم ملاحقته واضطراره للعيش في المنفى في فرنسا فقد توجه أيضا إلى جمال عبد الناصر يدعوه للعمل من أجل حل سلمي على أساس قرارات هيئة الأمم المتحدة.

وقد أثار القرار الإسرائيلي بالاشتراك عام ١٩٥٦ في العدوان المسلح الإنجليزي الفرنسي ضد مصر استنكارا عاما في الشرق الأوسط. ورأت الشعوب العربية في ذلك دليلا واضحا على أن وجود دولة إسرائيل نفسها يمثل تهديدا مباشرا لاستقلالها الوطني.

في هذه الظروف وفور فشل العدوان استأنف هنري كورييل نضاله من أجل السلام بين إسرائيل والبلاد العربية. وكان الأمر يحتاج إلى شجاعة سياسية في هذا الوقت لاتخاذ مثل هذا الموقف".

في سبيل نضال متواصل
من أجل السلام

أرسل تقرير طويل كتب عام ١٩٥٣ حول مشكلة العلاقات بين إسرائيل والبلاد العربية، سواء من الناحية النظرية أو التاريخية. وقد أرسل التقرير عدة مرات. ولم نستطيع أبدا الحصول على رأي الرفاق الذين قرأوه. ومع ذلك فإننا نعتبر أننا نستطيع أن نرجع إليه مرة أخرى. والتقرير الحالي يرمي إلى أن يقدم لقيادة الحزب فكرة عن النشاط الذي تقوم به مجموعتنا في الخارج في هذا المجال.

وقد عرضنا دائما على الرفاق الذين مروا من هنا مواقفنا ونشاطاتنا في هذا المجال، وطلبنا منهم أن يبلغوها للحزب. وعلى وجه الخصوص فإن الرفيق شديد الذي كان مسئولا سياسيا للمجموعة لعدة شهور استطاع أن يحصل على فكرة دقيقة عن هذه النشاطات. ويجب أن نقول في الواقع أن أي تقدمي تعرف على هذه النشاطات لم يبد أي اعتراض بشأنها، سواء أكان مصريا أو سودانيا أو من أي جنسية (باستثناء السوريين واللبنانيين بالطبع).

(أ) لماذا كافحنا من أجل السلام
في الفترة التي استمرت حتى العدوان (حرب ١٩٥٦).

نعتقد أن أفضل رد على هذا السؤال هو تقديم مقتطفات من نص مشروع نداء قمنا بإعداده (ويعرفه الرفيق شديد):

(ب) ضد استمرار الوضع الحالي

"رغم أنه من النادر أن نجد من يتكلم بصراحة عن الحرب. فهل يمكن أن نسمح بالوضع الحالي؟ كلا:

١) لان هذا الوضع يمثل قبل كل شئ المخاطرة في أي لحظة بقيام الحرب بكل نتائجها المحزنة.

٢) ولكن أيضا وحتى بدون الحرب، فإن سباق التسلح يفرض على الشعوب حملا ثقيلا يتزايد باستمرار، بينما على هذه الشعوب أن تكرس كل مواردها للسير سريعا في طريق التقدم والرخاء الذي تتطلع عليه وهي على حق في ذلك تماما.

٣) ولكن أيضا لأن التوتر الحالي ينمي وضعا ملائما للمؤامرات التي يقوم بها أعداء استقلال وحرية الشعوب.

٤) وأخيرا فإن التوتر الحالي يسهل محاولات بعض البلدان ضد وجود بعض الدول نفسها، بدلا من أن يساعد على وحدة الشعوب العربية (ونضالها ضد تدعيم حلف بغداد).

من الذي يريد استمرار الوضع الحالي بكل مخاطره؟

ليست الشعوب بكل تأكيد. ولكن أولئك الذين يرون بحسن نية أنه من المستحيل تحقيق السلام. ولكن قبل كل شيء أولنك الذين يستفيدون بأشكال مختلفة من هذا الوضع.

(ج) السلام هو الحل الوحيد

ونحن نعرف كم هو صعب إقامته

فعليه أولا أن يحل المشاكل الصعبة الذي جعلتها الفترة السابقة أصعب حلا.

ولكن أيضا لأنه يجب الكفاح ضد الشك عند كل من يعتقدون أنه مستحيل. ولأنه يجب إقناع الأشخاص حسنى النية والذين خدعتهم الدعايات ذات المصلحة والذين يظنون أن الحرب أو الحفاظ على الوضع الحالي أفضل للسلام.

وقبل كل شيء لأنه يجب إفشال مناورات كل المصالح القوية للأشخاص الذين يريدون الحرب أو الحفاظ على الوضع الحالي والذي يعني السلام بالنسبة لهم كارثة.

*

الوضع في الشرق الأوسط خطير.

إن فجوة تبدو وكأنه لا يمكن تخطيها تفصل بين شعوب هذه المنطقة. إن نزاعا يقسمها يبدو وكأنه لا يمكن حله. السلام نفسه في خطر.

ولكن شعوب العالم بخبرتها الذاتية والمؤلمة توصلت إلى أنه لا يوجد بين البلدان فجوة لا يمكن تخطيها، ولا يوجد نزاع لا يمكن حله سلميا وأن السلام هو الخير الأسمى الذي يجب الحفاظ عليه قبل أي شيء.

إننا مدعمين بهذه الخبرة ندعو كل الناس الشرفاء بأن تتخطى هذه الفجوة. أننا ندعو الحكومات أن تتفاوض لحل النزاع. إننا ندعو الشعوب أن تناضل من أجل الدفاع عن السلام.

*

(د) ضد خطر الحرب في الشرق الأوسط

ان الحرب في الشرق الأوسط تعني:

١) كارثة للمتحاربين: خسارة أحسن الأبناء، خسائر بين السكان الأبرياء، دمار لا يمكن إصلاحه، اهتزاز الأمن والاستقرار الداخلي. لن

توجد "نزهات عسكرية" وإنما حرب شرسة دموية ومدمرة .. يجب بعدها تحقيق السلام، الذي يكون من الأفيد ابرامه قبل هذه الكارثة.

٢) تهديد خطير لاستقلال المتحاربين ينشأ من التدخل الأجنبي، الذي يتم لصالح استمرار هذا النزاع، وبحجة "إعادة السلام"، وهذا واضعين في اعتبارنا أن الرأي العالم العالمي لن يسمح بتدمير دولة تعترف بها الأمم المتحدة.

٣) خطر على السلام العالمي، وبهذا المعنى فعلى شعوب الشرق الأوسط تحمل مسئولياتها.

من الذي يمكن أن يريد هذه الحرب المدمرة.

*

هكذا عرضنا باختصار الأسباب التي نثيرها مع الأشخاص الذين نتناقش معهم، وما نريد أن نقدمها للرأي العام العالمي والمصري الذين ندعوهم للتحرك.

تطور المواقف في مصر

منذ عام ١٩٥٣ تطور موقف الرفاق في مصر، في اتجاه محزن للأسف.

فحتى عام ١٩٥٣ لم يكن موقف الرفاق المصريين واضحا. لم نستطيع تحديد الاتجاه في هذه المشكلة المعقدة. لم يكن لدينا موقف واضح حول هذا الموضوع. قال تقرير ١٩٥٣ ما يلي:

"ماذا نفعل للنضال ضد الشوفينية التى تعبر عن نفوذ الطبقات الحاكمة بين الجماهير؟ في عام ١٩٤٨ عرف الشعب المصري موقف الشيوعيين

المصريين حول هذه القضية، رغم أنه لم يكن يوافق عليه. هل هذا هو الوضع اليوم؟

من الواضح أنه إذا لم نناضل للدعاية لمواقفنا والدفاع عنها، فسيؤدي ذلك إلى أن نترك للطبقات السائدة أن تفرض مواقفها، ويعني أن نترك للطبقات السائدة المبادرة والقيادة في هذا المجال، ويعني ترك الموقف المستقل للبروليتاريا، ويعني جعل البروليتاريا في ذيل البورجوازية".

ومع ذلك فإن موقف الشيوعيين المصريين لم يكن شوفينيا. فتقرير ١٩٥٣ كتب بمناسبة رسالة من حدتو إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وكانت الصلة بهذا الأخير تعتبر انتصارا وشرفا للرفاق المصريين على النطاق الدولي. وفي أثناء الاجتماعات الدولية نظم المندوبون الشيوعيون المصريون دائما لقاءات بين وفود بلدان الشرق الأوسط وكانوا دائما حريصين على تمثيل المندوبين الإسرائيليين. أما الوفود العربية الأخرى التي كانت دائما أكثر تحفظا فقد كانت دائما مضطرة للتراجع. ويجب أن نلاحظ أنه يقدر ما استطعنا أن تلعب دورا، فقد استمر هذا الموقف (حالة مؤتمر القانونين في آسيا مثلا).

ولكن الحالة سرعان ما ساءت. ونعتقد أن الشيوعيين في مصر تركوا أنفسهم ينجذبون في هذا المجال إلى التيارات القومية البورجوازية. بالنسبة للنواة الأكثر ثورية في الحزب فعلت ذلك بسبب ضعفها السياسي. يبدو أنه لم يكن لدى الرفاق العناصر التي تسمح لهم باتخاذ موقف ثوري حقا في هذا المجال. وواعين بضعفهم فضلوا "أن يتهربوا" في مسألة بدت لهم غامضة من ناحية، وخطرة أيضا لأنهم كانوا يخاطرون بانعزالهم عن الجماهير. ولهذا قدموا شعار "التوقيت". ففي الوقت الذي كانوا يعلنون فيه شكليا بموافقتهم على ضرورة تحقيق السلام مع إسرائيل، كانوا يرفضون طرح المشكلة على الجماهير بحجة أن اللحظة غير مواتية بعد (ودافعوا عن هذا الموقف حتى في عشية الهجوم).

وهذا هو ما كانوا يسمونه "التوقيت". من السهل أن نتحقق من أنه إذا كنا طوال ٨ سنوات لم نجد أبدا أن اللحظة قد حلت لطرح المشكلة على الجماهير فاننا بذلك نتهرب. ومن السهل أن ندرك أن الأحداث كانت محملة بالنار والدم لبيان أن "توقيتنا" للمشكلة كان صحيحا. نحن نعتبر أنه إذا كان الرفاق قد اتخذوا هذا الموقف، فإن ذلك يرجع إلى أن جهودنا للتوضيح لم تكن كافية.

ولكن هناك في الحزب تيارات أخرى لديها موقف خاطئ حول هذه المسألة، ولا يرجع ذلك إلى نقص العناصر وإنما بسبب انحراف قومي.

وماذا كان ذلك يعني؟

كان ذلك يعني في المجال الدولي اتخاذ موقف تابع تجاه الوفود العربية الأخرى في مواقفها الشديدة الشوفينية. فلم يقتصر الأمر على أنه لم تعد هناك رسائل إلى الحزب الشيوعي الاسرائيلي، بل لقد ضربنا عرض الحائط بقواعد الأممية البروليتاريا إلى حد رفض النقاش مع الشيوعيين الإسرائيليين، أعضاء الوفود الإسرائيلية فى بعض المؤتمرات. وإذا قارنا هذه المواقف مثلا بمواقف الوفود الفرنسية والفيتنامية بينما كانت الحرب ضاربة بين البلدين، ولم يتعلق الأمر فقط بالعلاقة بين وفود شيوعية وإنما ديمقراطية في اجتماعات حركة السلام وكذلك في المهرجانات الخ.

وعلى العكس من ذلك قامت مجموعة الحزب في الخارج بعمل متواصل بعد دراسة متعمقة للوضع. ويجب أن نعترف بأن اتخاذنا للموقف سهله موقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي والمناقشات التي قام بها بعضنا مع أعضاء وأحيانا قادة من هذا الحزب.

وكان النشاط الأول كتابة تقرير حول هذه المسألة وجه إلى الحزب والذي تعرض كما سبق أن قلنا لمشاكل نظرية وسياسية. وما تم القيام به بعد ذلك كثير جدا. بحيث لا نستطيع ذكره بالتفصيل.

وسنكتفي بتقديم بعض النشاطات الأساسية التي قمنا بها في هذا المجال.

(١) **المجموعة** على النطاق المحلي أنشأت في باريس بمناسبة مهرجان بوخارست مجموعة للصداقة العربية الإسرائيلية عقدت اجتماعات متعددة اشترك فيها الإسرائيليون والمصريون من ناحية، ورفيق سوداني ورفاق عراقيون وأتراك وسوريون .. وللأسف أنه تحت تأثير الأحداث، تحولت هذه المجموعة شيئا فشيئا إلى اللجنة المصرية الإسرائيلية من أجل السلام التي سنتحدث عنها فيما بعد. وأحد الأسباب الأساسية التي أعاقت تطور هذه المنظمة أن الحزب الشيوعي الفرنسي وضع بعض العراقيل خشية منه من أن تصبح هذه المنظمة نوعا من الجهاز السياسي القيادي. ولكن نشاطها لم يكن صفرا. فقد جعلتنا نتابع ونعمق المشكلة باستمرار. وحصلت على مكانة أدبية لا يمكن إهمالها وكذلك بعض النقد ..

(٢) نداء يوسف حلمي إلى الشعب الإسرائيلي(انظر ملحق أ) رسالة من يوسف حلمي إلى جمال عبد الناصر.

هذا النداء وهذه الرسالة نشرت في مطبوعاتنا سواء بالعربية أو الفرنسية. وكان للنداء صدى كبير في إسرائيل. وقد نشر بالكامل في مطبوعات الحزب. وكان سلاحا في يد قوى السلام الإسرائيلية. وفي نفس الوقت هاجمته أحزاب اليمين بشدة. وعلى أي الحالات فقد دارت حوله مناقشات مستفيضة. ونعتقد أنه كان له دور إيجابي في المعركة التي خاضتها قوى السلام في العالم لمنع إعلان الحرب في ربيع ١٩٥٦. ونعتقد أيضا أنها لعبت مع انعكاس لها في مقال لروز اليوسف دورا ولو ضئيلا في اتخاذ الاتحاد السوفييتي موقفا في ١٧ ابريل ١٩٥٦.

طريق جديد من أجل السلام.

ولا تتوقف أهمية هذه الوثائق عند هذا الحد. بل تنحصر أيضا في أنها، واضعين في اعتبارنا التغيرات في الوضع بالشرق الأوسط، بينت طريقا جديا عمليا وتقدميا نحو السلام، ومثلت بذلك خطوة إلى الأمام في تطور القضية.

ولمدة طويلة كان النفوذ الإمبريالي سائدا في الشرق الأوسط وكان يسيطر على العلاقات العربية الإسرائيلية الإعلان الثلاثي الشهير الذي صدر عام ١٩٥٠ والذي أكدت فيه الدول الثلاث الإمبريالية الكبرى دفاعها عن مصالحها السائدة. في هذه الظروف كان أي حل لكي يكون عادلا وديمقراطيا حقا أي يتفق مع مصلحة الشعوب، لا يمكن إلا أن يكون في منع الدول الإمبريالية من التدخل. ومن هنا كان الشعار الذي أعلنته حركة السلام الإسرائيلية "السلام عن طريق المفاوضات المباشرة بين الدول العربية وإسرائيل". ولكن واضعين في اعتبارنا أن الوضع قد تغير وأنه منذ حلف بغداد وباندونج وصفقات الأسلحة اكتسب الاتحاد السوفييتي دورا بارزا في الشرق الأوسط، إلى جانب الخبرة الدولية في حل المشاكل التي كان يبدو أنه من المستحيل حلها، مثل النزاع في كوريا أو الحرب في الهند الصينية. هذه الوثائق اقترحت التفاوض من أجل السلام في إطار مؤتمر دولي تشترك فيه الدول الأربعة الكبرى إلى جانب أطراف النزاع والدول الصديقة للأطراف المتنازعة وخصوصا دول باندونج.

هذا الطريق تبناه الحزب الشيوعي الإسرائيلي، مما يمثل نصرا سياسيا لحزبنا في هذا المجال. وكانت مقال روز اليوسف حول هذا الموضوع أيضا صدي لأتخاذ هذا الموقف.

لقد حاولنا الدعوة لهذا الموقف سواء بعرضه وكسب شخصيات لوجهة نظرنا، أو بنشر مقالات حول هذا الموضوع. ويجب من هذه الناحية أن نشير إلى أن الأستاذ يوسف حلمي نشر مقالات كان لها صدى في فرانس أوبزرفاتير وفي أفانتي (جريدة بيترونيي) وحديث مع الأونيتا، ومقال في مجلة أنصار السلام الإيطاليين الخ.

وفي أثناء مؤتمر بريوني(*) أرسلنا مذكرات سواء لتيتو أو لنهرو وطالبناهما بأن يناقشوا المسألة مع عبد الناصر (في نفس الوقت الذي

* جمع المؤتمر تيتو ونهرو وعبد الناصر الذي أعد لتجمع دول عدم الانحياز.

طالبناهم فيه بالتدخل لصالح الديمقراطيين المعتقلين والمحبوسين، ولكن عملنا لصالح هؤلاء سنضمنه تقريرا آخر).

وعندما هدأ الوضع في الجبهة العسكرية، لم نخفف عملنا، وإنما وسعناه. ونحن نفهم في الواقع بأن غياب السلام يمثل خطورة كبيرة وأنه يجب العمل على تحقيق السلام للحفاظ على بلادنا.

(٣) نداء عالمي من أجل السلام

ولهذا أدركنا وعملنا من أجل نداء عالمي للسلام بين إسرائيل والبلاد العربية مخصص لجمع التوقيعات عليه من شخصيات ديمقراطية من أكبر عدد ممكن من البلاد. ونرى من الضرورة أن نوضح لرفاقنا هذا المشروع ليدركوا بشكل أفضل مواقفنا وعملنا في هذا المجال.

وكان أساس النداء الدولي التحليل التالي لوضع المشكلة، وهو التحليل الذي على أساسه يجب أن نتحرك.

إذا كان السلام هو الهدف الذي يجب الوصول إليه بينما الوضع يتدهور باستمرار، فيجب أن نجد العملية القادرة على قلب الاتجاه. إذن ما هي القوى في الوقت الحالي:

أ) تتحرك الإمبريالية بكل قواها للإبقاء على التوتر لزيادة فرص التدخل، لحرف الجماهير إلى أقصى حد عن العمل الديمقراطي المعادي للإمبريالية. ولمساعدة الأنظمة الرجعية المهزوزة مثل العراق على البقاء بالإعلان عن خطر الحرب الخ الخ. وإن ما يسمى بنداءات السلام والمطالبات بالسلام لا توجد إلا بالقدر الذي تسمح لها فيه بالقدرة على التدخل "لصالح السلام" كما يزعمون.

ب) يوجد على رأس الدول العربية أنظمة مختلفة: ملكيات مطلقة مستقلة نسبيا في العربية السعودية واليمن؛ ملكيات اقطاعية مرتبطة بالإمبريالية: العراق والأردن (في هذا الوقت)؛ بورجوازية وطنية متحالفة مع الإقطاعية

ولكنها سائدة نسبيا في سوريا ولبنان حيث العلاقات مع الغربيين قوية لعـدة أسباب. كل هذه الدول معادية بشدة لأي اعتراف بإسرائيل لأسباب متنوعة. ولكن ما يجب ملاحظته هو أن البلدان الخاضعة للإمبريالية هي الأكثر تطرفا في موقفها المعادي لإسرائيل، والعراق هي بالتحديد الأكثر تعصبا من الجميع.

ج- مصر تقودها بورجوازية وطنية لها خواص محددة. فهي من ناحية تشعر بالتفوق العسكري الإسرائيلي والخطر الذي يهدد مصر بقدر تحالف إسرائيل مع الإمبريالية. فضلا عن أن رغبتها في غزو السوق العربي يجعلها تمارس سياسة حصار لإسرائيل يسهل هذا الغزو. وأخيرا فبسبب رغبتها في قيادة الدول العربية الأخرى، فإنها تعتبر أن النضال ضد العدو المشترك هي أسهل وسيلة لتجميع كل الدول العربية حول من يعتبر الأقوى عسكريا، وتجميع كل القوى العسكرية للدول العربية مع ما يمثله ذلك من نفوذ سياسي في الشرق الأوسط تحت القيادة المصرية.

وأخيرا، حتى من الناحية الداخلية يبدو الخطر الإسرائيلي وسيلة لتجميع القوى الوطنية حول النظام، دون اعتبار أن ذلك يسهل سياسة التمييز الدينى والعنصري لصالح فئات البورجوازية الموجودة في السلطة.

ولكن من ناحية أخرى هناك تيار يرغب في السلام بسبب التهديد بالتدخل الإسرائيلي الذي يمثله بالنسبة للنظام، لأنه وبشكل مجمل فإن المنازعات المادية ليست مستعصية على الحل. إن الفئة السائدة من البورجوازية هي نسبيا أكثر واقعية وأكثر قدرة على مواجهة وحل المشاكل، وفي النهاية لأنها حساسة لأي عمل شعبي محتمل بالقدر الذي تكون فيه الجماهير الشعبية نشطة.

إن العناصر التي لدينا تسمح لنا بالاقتناع بأن عبد الناصر في أعماقه يريد السلام.

ولكن لا يجب التعويل على هذا السلام لكي نأتي به. لقد أصبح النظام عاجزا عن البقاء على أساس سياسة الحقيقة والصراحة تجاه الجماهير. وهو لا يستطيع التوجه إلى الجماهير إلا بالطريقة الأكثر ديماجوجية .. وهو مرتبط في المجال الخارجي بالحكومات العربية الشوفينية والرجعية ويتراجع دائما أمام تهديدها بقطع العلاقات معه إذا مارس سياسة سلام مع إسرائيل. وعلى سبيل المثال يجب أن نعرف الواقعة التالية:

عندما وصل همرشلد إلى الشرق الأوسط في ربيع ١٩٦٥، التقى بعبد الناصر قبل مغادرته. واتخذ هذا الأخير موقفا واقعيا. فقد أكد رغبته في السلام وأبدى تفهمه أن أساس هذا السلام سينطلق من أساس يختلف عن مشروع التقسيم عام ١٩٤٧. وبعد هذه المحادثات دعا فوزي سفراء البلاد العربية لإحاطتهم بذلك. وكان رد الفعل سريعا. أخذ الملك حسين الطائرة إلى لبنان. وعقد اجتماع لجنة الجامعة العربية في دمشق وكان مفروضا أن تعقد في القاهرة، ولم يستطيع ممثل مصر أن يواجههم وخضع لهم، وصدر قرار برفض التعاون مع همرشلد ونشر هذا القرار. وهذا جانب من "القيادة" المصرية في مواجهة البلاد العربية. (ومن حسن الحظ أن هناك جوانب أخرى!). وهكذا بين النظام أنه لا يستطيع مواجهة المشكلة بمفرده.

ولكننا نعتقد أنه إذا مارست الجماهير الشعبية ضغطا عليه، فانه سيتصرف لحل هذه المشكلة طالما كان هذا الحل لصالحه. كان من الضروري إذن إيجاد القوة القادرة على قول الحقيقة للشعب وجعله يستمع إليها. وبالنسبة لنا هذه القوة موجودة. انها الشيوعيون المصريون. ودون أن نريد الإشارة إلى نواحي ضعفهم فإننا نعتقد أن هناك جانبا على الأقل كان نجاحهم فيه واضحا، وهو جانب الدعاية. نحن نعتقد أن كل الأفكار التقدمية للنظام، وكل المواقف الوطنية والديمقراطية التي اتخذها الشعب مصدرها العمل الدعائي للشيوعيين المصريين. فإذا كان أي شكل من أشكال التعاون مع الإمبريالية لا يمكن تحمله، وإذا كانت فكرة الحلف العسكري نفسها هي بهذه الدرجة سيئة السمعة، وإذا كانت فكرة النضال من أجل السلام تلقى هذا

الصدى، ويمكن إيراد العشرات من الأمثلة الأخرى، فالفضل يرجع بدرجة كبيرة إلى الشيوعيين المصريين.

ولهذا فإننا مقتنعون أنه إذا وضع الشيوعيون المصريون مشروعا للنضال من أجل تحقيق سلام دائم على "أسس مقبولة من الجانبين، واضعين في اعتبارنا المصالح القومية المشروعة لشعوب الشرق الأوسط"، فإن الحكومة المصرية ستتوصل شيئا فشيئا إلى تبني خطة عمل إيجابية وتفرضها على الدول الأخرى في الشرق الأوسط.

- ولكن لاقناع الشيوعيين المصريين بالقيام بهذا العمل التوضيحي، فقد كان واضحا أن عمل مجموعة الحزب الشيوعي المصري الموحد في الخارج وحده لم يكن كافيا. ومن الأكيد أننا لم نفشل أبدا عندما ناقشنا المشكلة مع كل الرفاق المصريين والسودانيين الذين التقينا معهم. ولكن ما أن يعودوا حتى يصبحوا عاجزين عن إقناع الحزب بضرورة الانتقال إلى العمل. للتوصل إلى هذا الهدف لابد من سلطة من نوع آخر.

موقف المعسكر المعادي للإمبريالية

إذا كانت الحركة الشيوعية المصرية في عامي ١٩٤٧-١٩٤٨ قد اتخذت بسهولة موقفا ثوريا بالنسبة للتقسيم وضد حرب فلسطين فذلك لأن الاتحاد السوفييتي قد بين لنا الطريق السليم. فإن ثقة الطبقة العاملة المصرية والشيوعيين المصريين في الحركة العمالية العالمية، أي أن استيعابهم لروح الأممية البروليتارية كان كافيا لجعلهم يواجهون أصعب المواقف إذا كانوا واثقين من عدالة موقفهم، وهي ثقة كان منبعها انضمام الحركة العمالية العالمية لهذا الموقف.

وإذا لم يكن لدينا شك أنه لم يكن يمكن أن يكون للحركة العمالية العالمية إلا موقف واحد بالنسبة لهذه القضية، أي الرغبة في حل سلمي للنزاع، فإن الموقف الدولي كان في وضع يحتمل المخاطرة بالا يبدو ذلك بوضوح كاف.

لقد حدثت تحولات هامة في المجال الدولي. فالاتحاد السوفييتي يلعب دورا تتزايد أهميته، ليس فقط كقائد للمعسكر الاشتراكي، وإنما أيضا كدولة أصبح تأثيرها المباشر على الدول الأخرى، تأثير الحكومة السوفييتية على الحكومات الاشتراكية الأخرى بل وأحيانا على الحكومات الرجعية أيضا أصبح مهمة أساسية. ونتصور أنه في هذا المجال يمكن أن تحدث ليس معارضة وإنما اختلافات في البرنامج بين المواقف التي تتخذها الحكومة السوفييتية والمواقف التي يجب أن تتخذها الطبقة العاملة في عدة بلدان.

أما بالنسبة للشرق الأوسط، فإننا نحلل الموقف السوفييتي على الوجه التالي: ان تطور النضال المعادي للإمبريالية للبلاد العربية سيتحقق بالقدر الذي تعتمد فيه هذه البلاد بطريقة متعاظمة على المعسكر الاشتراكي والديمقراطي. وبهذه الطريقة وحدها يمكن إزالة خطر أن يحل محل سيادة الاستعماريين الإنجليز والفرنسيين سيادة أخرى أثقل آلاف المرات هي سيادة الإمبرياليين الأمريكيين. ولهذا فإن المهام الرئيسية للدبلوماسية السوفيتية هي إقناع الدول العربية، حتى التي يحكمها قادة رجعيون أنهم يستطيعون الاعتماد تماما على الاتحاد السوفييتى. ولهذا فإن عليه أن يتخذ مواقف تتوافق مع الأفكار السائدة في البلدان العربية. وهو لا يستطيع أن يخاطر بهدف وحيد هو أن يوفر للشيوعيين المصريين تحليلا يخصهم هم أن يقوموا به، وأن يتخذو المواقف التي يمكن أن يستخدمها الاستعمار والرجعية ضده في البلاد العربية والذي تهدد بذلك بإبعاد البلاد العربية من المعسكر الاشتراكى.

ولهذا تجنب الاتحاد السوفييتي لمدة طويلة التدخل في قضية السلام بين إسرائيل والبلاد العربية في مواجهة رأي عام عربي غير مستعد ومعادي بعمق لإسرائيل. وفي الواقع أن انحياز حكومة إسرائيل لمواقف حكومات الدول الإمبريالية، والتدخل المسلح المتكرر للقوات العسكرية الإسرائيلية والذي تم كثيرا في ارتباط مع المخططات الإمبريالية للضغط على البلاد العربية الخ نزع كل فائدة من هذا التدخل من جانب الاتحاد السوفييتي.

ولهذا فإذا كان المعسكر الاشتراكي لم يستطع أن يخاطر باتخاذ موقف غير مؤيد حتى من جانب الطبقة العاملة في البلاد العربية، فانه يخاطر بأبعاده عن حكومات هذه البلاد مما يضر بهذه البلاد نفسها ضررا كبيرا، فكان من الضروري الاعتماد على قوى أخرى: القوى المسماه "محايدة". ولهذا فكرنا في نداء دولي موقع من شخصيات من أكبر عدد ممكن من البلاد واضعين في اعتبارنا العوامل التالية:

أ - اختيار التوقيعات بعناية بحيث لا نقع في مخاطرة أن يعتبر هذا النداء "مناورة صهيونية". ويجب أن يكونوا جميعا وبلا استثناء من شخصيات معتبرة من أصدقاء العرب، واضعين في اعتبارنا حقيقة أن "ملعقة من المرارة تفسد طنا من العسل".

ب- مركز الثقل للنداء يجب أن يوجد في بلدان باندونج: أي أنه يجب أن يوجد في آسيا وخصوصا في الهند. ولا يجب أن يعطى الانطباع بأنه صادر من البلاد الأوروبية.

بدأنا إذن الإعداد لهذا النداء الأمر الذي يتطلب عملا من الصعب تقييمه خصوصا أن لدى المجموعة عدد قليل جدا من الأعضاء الذين لديهم الإمكانيات والقدرات للقيام باتصالات.

فضلا عن أنه كان من الضروري إيجاد الإمكانيات للعمل في البلاد الأسيوية رغم أننا نقيم في أوروبا الغربية، أي في المنطقة الأقل قابلية لهذا العمل، دون أن نضيف ان إسرائيل لديها دعاية أفضل كثيرا وأكثر فعالية مما تقوم به البلاد العربية، وأن التعاطف في أوروبا وفي فرنسا على وجه الخصوص هو مع إسرائيل. وبالطبع فإننا لم نقم وما كان علينا أن نقوم بدعاية ضد إسرائيل. كان علينا فقط أن نوضح أهمية النضال من أجل السلام، ولكن كان علينا أن نشرح الوضع الحقيقي لمصر، وأن نبين كيف أنه رغم كل شيء ومع بعض النواحي المنفرة للدكتاتورية العسكرية (العدوان المستمر على كل المبادئ الديمقراطية، والديماجوجية الخطابية المسعورة الخ)، فإن البلاد العربية ومصر لعبت دورا تقدميا الخ. وتبين الوقائع التالية

أن عملنا أتى بثماره: فقط ظهر بشكل مطلق بين الشخصيات والأوساط التي اتصلنا بها (إلى جانب الحزب الشيوعي الفرنسي الكبير طبعا) المساندة لتأميم شركة قناة السويس، ثم إدانة العدوان. وفي إنجلترا قام الأشخاص والجماعات التي اتصلنا بها أساسا بالنضال داخل حزب العمال وبين الجماهير. ورغم أننا لا نعتبر أن الفضل كله يرجع إلينا (خصوصا فيما يتعلق بإنجلترا) فإننا لا يمكن أن نعتبر أن هذا يرجع للصدفة وحدها.

وكان لهذا النداء العالمي الأهداف التالية:

أ- في المجال الدولي.

١) تعبئة القوى الديمقراطية غير الشيوعية في العالم للدفاع عن شعار السلام بهدف أبعد هو لتجميع الشخصيات الهامة الموقعة في لجان دولية من أجل السلام.

٢) نشر النداء الدولي يجب أن يؤدي إلى انضمام عدد كبير من الشخصيات التي لم نتصل بها في المرحلة الأولى إلى هذا النداء.

٣) يجب أن يسهل ذلك فيما بعد أن تتخذ بعض الشخصيات الهامة بل وبعض الحكومات مثل نهرو والحكومة الهندية وتيتو وحكومة بورما الخ، موقفا.

ب على النطاق العربي

١) إضعاف ريبة الجماهير العربية الخاضعة لدعاية شوفينية ديماجوجية سواء من جانب الحكومات الوطنية أو الحكومات المرتبطة بالإمبريالية تجاه السلام.

٢) حصول قوى السلام في البلاد العربية وخصوصا في مصر على مساندة قوى السلام في العالم.

٣) اقناع حزبنا ومن خلاله قوى اليسار الضخمة في مصر بشعار السلام.

(٤) منشور ضد الحرب الوقائية

عند تأميم قناة السويس كان واضحا أن الاستعماريين الإنجليز والفرنسيين يحاولون استغلال العداء الإسرائيلي العربي لصالحهم. في هذا الوقت أصدر يوسف حلمي نداء ثانيا للشعب الإسرائيلي محذرا من فكرة "الحرب الوقائية" وبرغم أن صداه كان أقل من الأول إلا أنه كان له مع ذلك تأثير لا يمكن إهماله. فقد أعلنت الحكومة الإسرائيلية في هذه اللحظة أنها ترفض كل فكرة عن "الحرب الوقائية".

وكذلك بعض الملاحظات التي نشرت باسم الحزب الشيوعي المصري الموحد حول التأميم، وهي البيانات التي كان لها صدى كبير، كان فيها تحذير جدي لإسرائيل ضد الحرب الوقائية. وكانت هذه الفقرة هي أحد الأجزاء التي نشرت في جريدة "يونيتا".

وإذا كانت مداخلاتنا قد أدت ولو إلى بعض التأخير في التدخل، فإن ذلك له أهمية إيجابية كبيرة، لأن عزل المعتدين كان العنصر الحاسم للنصر ضد المستعمرين، وقد تم هذا العزل بفضل الوقت الذي مضى بين التأميم والعدوان.

(٥) دعم الصلات مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي

يمكننا أن نعتبر أن عملنا من أجل السلام الذي كان جزء منه ينحصر في التذكير بالمواقف الثورية للشيوعيين المصريين عام ١٩٤٨ والمعارضة المصرية للحرب في فلسطين في جميع الأوساط التي وصل إليها نفوذ الشيوعيين، وذلك في مواجهة الشوفينية التي صدرتها الرجعية (القنابل أمام مجلة الجماهير، وأمام بيت يونس "كوربيل" الخ) قد ساهم وسيساهم في تقوية العلاقات بين الحزب الشيوعي الإسرائيلي والشيوعيين المصريين.

ولهذا فإذا حددنا نتائج ما قامت به مجموعة الحزب الشيوعي المصري الموحد في الخارج في هذا المجال، فإننا نقرر أنه كان إيجابيا للغاية وأن مجموعتنا كانت في طليعة هذا العمل. وبما أننا جزء من هذا الحزب فإن الفضل يرجع إليه.

(١٩٥٧)

* * *

نداء إلى شعب اسرائيل

(من الأستاذ يوسف حلمي)

في الظروف الراهنة والأوضاع المستجدة واهمها تسليح مصر- تدبر على الحدود بين مصر وإسرائيل أعمال استفزازية يصل بعضها إلى حد المجازر، وفي نفس الوقت تركز على الشعب الإسرائيلى كل أبواق الدعاية الممكنة لإفهامه بضرورة شن حرب تسمى بالحرب "الوقائية" قبل أن تتمكن مصر والبلاد العربية من استكمال تسليحها للقضاء عليها وإلقائها في البحر..

إن الموقف يبلغ حدا من الخطورة يهدد بإشعال حرب مدمرة قد تتعدى هذه المرة ميادين القتال إلى المدن والعامر من الجهات لتحيلها خرابا وتفتك بالألوف والألوف من المدنيين، وهذا ما دفعني إلى أن أتوجه بالكلام إلى شعب إسرائيل قبل كل شيء.

وأحب أن تعلموا أولا صفة هدا الذي يخاطبكم.

اني مواطن مصري وطني، كافحت في صفوف الحركة الوطنية المصرية منذ كنت طفلا، واعتصرت من تجارب الكفاح الوطني في بلادي وفي غيرها مما جعلني أؤمن بأن استقرار السلم العالمي هو سبيل الشعوب والأمم المضطهدة إلى التحرر والتطور والرخاء، وكان لي شرف الاشتراك في تأسيس اللجنة الوطنية المصرية لأنصار السلام وقيادتها منذ ١٩٥٠، وأصدرت مجلتي "الكاتب" في خدمة حركة السلام. وفي وقت كانت أجهزة الدعاية الاستعمارية في مصر وفي إسرائيل مركزة على إشاعة الكراهية وسوء الظن بين العرب وإسرانيل، كنت أكثر من مرة أعلن للرأي العام في بلادي أن شعب إسرائيل لا يقل رغبة في السلام وكرها للحرب عن الشعب

المصري أو أي شعب آخر، بل ان جملة الظروف التي تجمعت في تاريخ الشعب الإسرائيلي تجعله أشد تعلقا بالسلام ومقتا للحرب، ودللت بالعدد الهائل من التوقيعات على نداء السلم الذي جمع في إسرائيل وبلغ نسبة تزيد على ثلث السكان، وقلت ان إثارة العداء والكراهية إنما هي أساليب استعمارية لتحويل الحركة الوطنية وصرفها عن مكافحة عدوها اللدود الكامن في أحشاء البلاد.

وعلى حد ما أعلم، فقد نشرت بعض صحف حزب "المبام" فقرات من مقالاتي وقد نشرت بعض صحفكم أخيرا ما نشره كتاب مجلس السلم العالمي عن اجتماع هلسنكي في يونيو الماضي، وفيه من تقريري النصوص الخاصة بمشكلة فلسطين، ومنها رأيتم اني ناديت بسلام عادل بين بلادنا وبلادكم وانني دعوت إلى مؤتمر شعبي يضع أسس هذا السلام لتتبناها الشعوب وتفرضها فرضا على الحكومات.

وأخيرا فأنا الآن لا أعيش في بلادي وإنما في المنفى لاني خاصمت حكومة جمال عبد الناصر وكافحت ضد سياستها الداخلية والخارجية "القديمة" بإصرار، واعتقلت في عهدها ثلاث مرات وأخيرا كنت ومازلت مطلوبا للمحاكمة أمام المحاكم العسكرية. فاضطررت للاختفاء وتابعت فى الاختفاء كفاحي حتى تمكنت من الخروج من البلاد.

اني احكي لكم هذا التاريخ وهو جد متواضع، لتثقوا من اني برئ من كل نزعة شوفينية ودينية واني كما رفعت في الماضي شعارات السلام بإيمان فاني أرفعها اليوم بنفس الإيمان وبحرارة أعظم، واني لا أحاول الدفاع عن الحكومة المصرية التي تطلب اليوم رأسي أو على الأقل حريتي.

اني أقول للشعب الإسرائيلي بأعلى صوت وبيقين تام أن الحكومة المصرية الحاضرة لا تريد الحرب مع إسرائيل ولا تستعد لها وليست لها أية مصلحة فيها.

اني أقول لشعب إسرائيل أن صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ليست، ولا يمكن أن تكون، موجهة ضد إسرائيل.

إن من الأسباب العميقة للانقلاب العسكري الذي قام البكباشي جمال عبد الناصر ورفاقه هو الحرب "القذرة" التي دبرها الملك الخائن وعصابته مع الاستعمار في ١٩٤٨ ودفع فيها الجيش أفدح ثمن.

إن تطورا هاما في سياسة البلاد العربية تجاه إسرائيل قد برز إلى الوجود بعد مؤتمر باندونج الذي دعا إلى حل مشكلة فلسطين بالطرق السلمية.

اني انادي شعب إسرائيل ألا يصغي إلى الدعايات الاستعمارية المسمومة التي تنادي بشن الحرب الوقائية.

فلنرجع قليلا إلى الوراء.

كانت الحركة الوطنية المصرية للتحرر من الاحتلال البريطاني تحتدم وتتطور بسرعة بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الشعب المصري مصرا على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء الجيوش البريطانية بلا قيد أو شرط. وحاول الإنكليز أن يفرضوا على البلاد عن طريق حكومات الأقلية معاهدة جديدة قبل الجلاء ولكن كفاح الشعب أحبط محاولاتهم كلها فدبروا بالاشتراك مع عملائهم ووكلائهم ضمن ما دبروا حرب فلسطين لتنشغل بها شعوب هذه البلاد، والشعب المصري على الخصوص، عن حركاتهم الوطنية التي تطالب بالتحرر الكامل من سيطرة الاستعمار.

ألم يكن عجيبا أن يخرج جيش من بلاده إلى خارج حدوده ليحارب من لم يمسه بسوء تاركا وراءه جيوشا أجنبية تحتل صميم بلاده وتحمي مصالح الاستغلاليين الأجانب؟..

لقد كانت المؤامرة بارعة دبرت بل إتقان.

وهنا يقتضيني التاريخ أن أذكر فضلا لأصحابه. فإن الديمقراطيين المصريين الذين برزوا بعد الحرب العالمية إلى الوجود على رأس الكفاح الوطني، نادوا بلا خوف ولا تردد بحق دولة إسرائيل الديمقراطية المستقلة في الوجود إلى جانب دولة فلسطين العربية الديمقراطية المستقلة، كما نادوا بأن تلك حرب قذرة مقصود بها تحويل الحركة الوطنية عن طريقها وإعلان الأحكام العرفية لقمعها ويومها بطش الملك الخائن وبوليسه السياسي، ومن ورائه الجاسوسية الأجنبية بهؤلاء الديمقراطيين وزجوا بالألوف الوطنيين في السجون والمعتقلات. وبعد قليل لحقهم ألوف آخرون من الأخوان المسلمين أنفسهم الذين انخدعوا بدعاية الحرب والقوا بكتائبهم فى ميدانها.

هذا هو ما يفهمه الشعب المصري اليوم من حرب فلسطين وهو نفسه ما فهمه الضباط الذين قاموا بالانقلاب العسكري وعزلوا الملك وأنهوا حكم أسرة محمد علي وأعلنوا الجمهورية.

لا أريد أن أتعقب الحوادث خطوة خطوة، وإنما أنتهي إلى السياسة الخارجية الجديدة التي انتهجتها حكومة عبد الناصر في خلال هذا العام، وهي تتوج بلا شك بمقاومتها الجدية لحلف انقرة -بغداد الذي هو شكل جديد من أشكال التحايل الاستعماري لفرض حلف الشرق الأوسط العسكري الذي يعلم الشعب الإسرائيلي إنه بجانب صفته التحضيرية للحرب العالمية فإنه يؤكد ويعمق النفوذ الاستعماري الاستغلالي في هذه المنطقة، ولقيت هذه المقاومة عطف وتشجيع العالم الديمقراطي والشعوب المحبة للسلم.

حتى كان مؤتمر باندونج الظافر الذي مثل فيه أكثر من نصف الجنس البشري، وكان من بين قراراته القرار الخاص بمشكلة فلسطين التي أعلن المؤتمر وجوب حلها بالطرق السلمية على أساس قرارات الأمم المتحدة.

والذي قدم مشروع هذا القرار إلى المؤتمر هو جمال عبد الناصر باسم الوفد المصري وبعد موافقة الدول العربية، الأمر الذي يضاعف من أهمية القرار لأنها أول مرة نسمع فيها بصفة رسمية تعبير الحكومات العربية عن إرادتها في الوصول إلى حل سلمي لهذه المشكلة.

هي خطوة جبارة إلى الأمام، وهي تعبير صادق انبثق من إرادة الشعوب المشتركة في المؤتمر وبالذات من إرادة الشعوب العربية، وكلها تستهدف السلام لجميع الأمم والاستقلال لجميع الشعوب.

وبعد العودة من باندونج أدلى جمال عبد الناصر بحديث إلى مجلة "نيوز ويك" الأمريكية ونشرته جريدة "الجمهورية" شبه الحكومية في ٢٣ مايو الماضي. وقد نشرت بعض صحفكم نصوصا منه مما جاء في تقريري إلى جمعية هلسنكي، هذه النصوص الدالة على الإخلاص لقضية السلم وعلى الرغبة في التعايش السلمي مع إسرائيل.

وعلى ضوء السياسة العامة للحكومة المصرية في الشهور الأخيرة وهي سياسة استقلال وطني وسلم عالمي لاشك فيها، لا يمكن أن تفسر هذه التصريحات ولا يمكن تأويل خطتها إزاء إسرائيل إلا بأنها تعبر أصدق تعبير عن النفور من الحرب.

لقد أصبح واضحا كل الوضوح فى نظر العالم كله أن جيش إسرائيل يعمل اليوم للضغط على مصر والبلاد العربية لكي تخضع لمطالب الاستعمار وفي مقدمتها الحلف العسكري للشرق الأوسط تحت النفوذ الاستعماري، ذلك الحلف الذي تقاومه مصر وسوريا والعربية السعودية مقاومة حازمة في مصلحة شعوب الشرق الأوسط وشعوب العالم أجمع.

إن المذابح التي تقع علي الحدود ليست مصادفة أو وليدة سوء الحظ، بل هي أعمال مدبرة لتشديد الضغط الأجنبي الاستعماري على مصر، وهي تحدث في الغالب بعد مرور "مندوب الهدنة" (!) أو كلما فشلت أساليب الضغط الأخرى.

لذلك كان تسليح مصر ضروريا لإيقاف هذا الضغط أو على الأقل لإضعاف أثره وإقامة توازن يحمل شرط السلام في هذه المنطقة ويحمل المغامرين على التفكير طويلا قبل الشروع في مغامرة.

ولكن الاستعماريين والاستفزازيين ودعاة الحرب في إسرائيل يشنون اليوم حملة دعاية هائلة لإيهام الشعب الإسرائيلى بأن هذه الأسلحة موجهة ضد إسرائيل، فلابد إذن من إشعال حرب وقائية(!).

نفس الحجة الإجرامية التي طالما رددتها أبواق كثيرة لإطلاق الحرب العالمية الثالثة.

إن شعب إسرائيل يعلم أن هناك مشكلة فعلا، وإن هذه المشكلة ينبغي أن تحل. ولكنها لن تحل أبدا عن طريق الحرب، وبالعكس فإن الحرب سوف تزيد الأوضاع سوءا، وستبعد إمكانيات الحل السلمي لآماد بعيدة، وستجر وراءها ما لا يمكن تصويره من الخراب والدمار والدموع والأحزان، وستهدد السلام العالمي نفسه بأخطار جدية.

لقد كان محتما أن تخسر مصر والبلاد العربية الحرب الماضية لأن الشعوب سيقت سوقا إليها معصوبة الأعين دون أن تكون لها بواعث وطنية شريفة تحض عليها. أما هذه المرة فإن أي حرب جائرة تعلن ضدها فسوف تقابل بانتفاض اربعين مليونا يدافعون عن استقلال بلادهم يحوطهم عطف مئات الملايين من شعوب العالم التي تعرف مقدما، منذ اليوم، أي أصابع استعمارية قذرة تدير هذه الحرب.

اننا لنريد السلام، وأنكم لتريدونه يا شعب إسرائيل، فارفعوا فى وجه دعاة الحرب شعارات السلام، وارفعوا عاليا كما نرفع شعار مؤتمر باندونج الذي تتبناه شعوب العالم لا شعوب آسيا وأفريقيا فحسب ولنكافح معا من أجل وضعه موضع التنفيذ، وأول خطوات التنفيذ فيما أرى هو المناداة بمؤتمر دولي يجمع الدول العربية ودولة إسرائيل ودولا أخرى من الشرق والغرب لإيجاد تسوية سلمية للمشكلة تعترف للشعب الإسرائيلى بحقه في دولته المستقلة الديمقراطية وللشعب العربي الفلسطيني بالحق نفسه لبعيش هذان الشعبان مع باقي شعوب المنطقة في أمن وصداقة ورخاء وسلام.

يوسف حلمي

(١٩٥٥)

***

ماهو الطريق الذي كان يجب اتباعه للوصول إلى السلام؟

كان واضحا حينئذ أنه كان يجب أولا القيام بما يلي: إقناع الرأي العام العربي أنه رغم اشتراك إسرائيل في العدوان الفرنسي البريطاني. فقد كانت المصلحة الأساسية لكل شعوب المنطقة دائما البحث عن السلام وليس التحضير لنزاع مسلح جديد. ولهذا فقد قام هنري كورييل الذي كان موجودا مع أصدقائه في أوروبا بتعبئة جهودهم لمحاولة إقناع شخصيات بارزة معروفة بروح العدالة والصداقة لشعوب العالم الثالث لإصدار بيان عالمي من أجل السلام بين إسرائيل والبلاد العربية. *

كتب هنري كورييل حينئذ تقريرا يهدف إلى إيضاح مبادرته.

***

* أيد كرو هذا النداء وعرض على الرئيس نهرو.

نداء عالمي للسلام
بين إسرائيل والبلدان العربية
(مذكرة إيضاحية)

هذه ـ مع بعض التأخير ـ مذكرة تتعلق بالنداء الدولي من أجل السلام بين إسرائيل والبلدان العربية أرسلناه إليكم حديثا في إطار الحوار الطويل الذي أردتم أن تقوموا به معنا.

ستعذرونا بالطبع لكل النواقص في هذه المذكرة إذا أدركتم أنه من المستحيل أن نسجل كتابة كل العناصر التي لدينا. لابد لهذا من كتاب كامل والاختيار هو شخصي اضطراريا وقد لا يتفق مع ما تريدونه.

ومن المفهوم أننا لا نستطيع أن ندرس كل المشاكل التى يثيرها النزاع العربي الإسرائيلي. فلن نجادل مثلا حول معرفة إن كان السلام مرغوبا: نعتبر هذه المسألة مفروغا منها. ولن نبحث أيضا شروط هذا السلام الذي ندعو إليه. يمكن أن يكون ذلك موضوع مذكرة منفصلة. وسنكتفي ببساطة بمحاولة عرض الأسباب التي دفعتنا إلى إثارة فكرة نداء عالمي من أجل السلام بين هذه البلاد.

*

العنصر الأول الذي يجب أن يكون حاضرا في ذهننا عندما نريد أن نبحث مسألة السلام بين هذه البلاد بطريقة ملموسة، وليس بطريقة نظرية، هو أن المسألة توضع بصورة مختلفة في كل من إسرائيل من ناحية وفي البلدان العربية من ناحية أخرى.

ففي إسرائيل يمثل السلام التوطيد النهائي للدولة الناشئة.

وهو يقدم ميزات اقتصادية هائلة لأنه يضع حدا للحصار الحالي. فهذا الحصار لا يعمل فقط في إطار البلدان العربية ولكنه يعرقل تطور التبادل بين إسرائيل والبلدان الأخرى، لأن الجامعة العربية تقاطع الشركات التي تتعامل مع إسرائيل. ويتضمن ميزات سياسية أكبر لأنه يؤدي إلى الاعتراف ليس من جانب البلاد العربية وحدها وإنما أيضا من جانب كل من يريدون الحفاظ على علاقات جيدة مع هذه البلاد، ولهذا فإنها لم تعترف أو لا تقيم معها علاقات دبلوماسية (مثل الهند). وهي تتضمن أخيرا تخفيف الأعباء العسكرية الثقيلة ونهاية التعبئة الدائمة لمجموع الشعب.

وعلى العكس من ذلك يقدم السلام للبلاد العربية باعتباره تكريس للهزيمة. ويقدم كنوع من الخيانة تجاه فلسطين المعتبرة كبلد عربي (لفهم وجهة النظر هذه يجب أن نعرف مثلا أن كثيرين يعتبرون الجزائر فرنسية رغم أنه لا يوجد عربي واحد لم يعتبر هذه البلاد إلا بلادا عربية، حتى ولو كان السكان الفرنسيون أكثر مما هم عليه الآن). والاعتراف بإسرائيل يقدم باعتباره تخليا عن بلد عربي موجود في قلب الشرق الأوسط العربي لبلد أجنبي يفصل البلدان العربية الموجودة في الغرب عن تلك الموجودة في الشرق. أما بالنسبة لكل اللاجئين العرب الذين التزمنا تجاههم بإعادة كل ما كانوا يعتبرونه وطنهم الشرعي، والذين كررنا لهم أن كل تنازل "خيانة" يجب أن نشرح لهم لماذا قبلنا هذه الخيانة. فضلا عن أنه منذ عام ١٩٤٩ تبدو إسرائيل للعرب ليس فقط باعتبارها بلدا خلق بنهب السكان العرب الأصليين بل وأيضا باعتبارها بلد مرتبط بالإمبرياليين الغربيين: بالإمبرياليين الأمريكيين وحديثا وبطريقة واضحة بالمستعمرين الفرنسيين والإنجليز. ومن هنا كانت الفكرة المنتشرة انتشارا واسعا بين الجماهير القومية وحتى بين العناصر الديمقراطية (الحزب الشيوعي السوري اللبناني والجبهة الوطنية الأردنية على سبيل المثال) بأن الكفاح ضد إسرائيل هو جزء من الكفاح ضد الإمبريالية.

نحن لا نشترك بالطبع فى فهم الأمور بهذه الطريقة. فباعتبارنا وطنيين مصريين متأكدين من أننا لا نخدم مثلا أعلى فحسب وإنما نخدم المصالح الأكثر حيوية لشعبنا، فإننا نناضل من أجل الحل السلمي للنزاع العربي الإسرائيلي. ولكن إذا لم نتكلم عن هذه الحقيقة، وإذا لم نتبين أن فكرة السلام تقدم بطريقة مختلفة في إسرائيل عنها في البلاد العربية، فلن نستطيع التوصل إلى شيء. وبالعكس إذا انطلقنا من هذه الحقيقة نستطيع أن ندرك أن كل عمل لصالح السلام لكي يكون مفهوما في البلاد العربية يجب أن يتم بطريقة تقبل بها البلاد العربية مبدأ المفاوضات السلمية. وهذا هو الأصعب بالنسبة لهم.

وعلى النقيض من ذلك ففي المرحلة الثانية، عندما يتعلق الأمر بالمناقشة، قد يكون من الأصعب كثيرا إقناع إسرائيل بتقديم التنازلات الضرورية لتحقيق السلام أكثر من اقناع البلدان العربية بقبول شروط مثل هذا السلام. ففي هذه اللحظة لن يكون على العرب إلا تقديم تنازلات يمكن أن نسميها "نظرية" أي تنازلات بالنسبة لمتطلباتهم (لتشددهم)، بينما سيكون على إسرائيل أن تقدم تنازلات ملموسة.

ولهذا فللوصول إلى السلام، تنحصر المرحلة الأولى في دفع الدول العربية إلى قبول مبدأ المفاوضة للسلام مع إسرائيل. كيف يمكننا فعل ذلك؟ يجب أن نحلل باختصار الوضع في مختلف الدول العربية.

*

قبل كل شيء، يجب أن نبين أن أكبر المستفيدين من النزاع الحالي هم المستعمرين الفرنسيين والإنجليز والإمبرياليين الأمريكيين. إنهم يدعون جميعا أنهم يريدون السلام، وهذا غير صحيح. على العكس من ذلك يحقق النزاع الحالي الظروف لعملهم. لقد بين العدوان الأخير الإنجليزي الفرنسي ذلك بشكل واضح تماما بحيث لا تكون بنا حاجة للإفاضة في هذه الناحية. أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فيبدو واضحا أنه لن تكون هناك إمكانية "لمبدأ ايزنهاور" أي ليس هناك تبريرا ممكنا لتدخل الولايات المتحدة

الشامل الاقتصادي والعسكري في الشرق الأوسط إذا لم يكن هناك هذا التوتر الخطير الذي يسببه قبل كل شيء النزاع العربي الإسرائيلي. وإن ما يسمى بسياسة السلام للدول الإمبريالية لا توجد إلا بالقدر الذي يسمح لها بالتدخل في هذه المنطقة. وإن المحاولات الأمريكية في الربيع الماضي لإنزال قواتها في الشرق الأوسط تمت تحت غطاء الدفاع عن السلام. ونرى في هذه الأيام جهود الولايات المتحدة في السعي للإبقاء على قوة عسكرية من هيئة الأمم المتحدة، بحجة الحفاظ على السلام، ولكنها تريدها في الواقع لأنها تكرس مبدأ الاحتلال العسكري الذي يمكن أن يسهل التدخل فيما بعد للقوات الأمريكية الخ.

وإذا كان الإمبرياليون لا يريدون السلام فإن ذلك يستتبع أنه كلما زاد ارتباط الدول العربية بالإمبريالبة، كلما أصبح لهم موقف أكثر تطرفا في المشكلة العربية الإسرائيلية.

وهذا هو ما يحدث في الواقع. فمن بين كل البلدان العربية نجد أن العراق التي يسود فيها نظام إقطاعي مرتبط ارتباطا وثيقا بالإمبريالية هي الأكثر عنفا وشراسة في موقفها ضد إسرائيل. وإن الكفاح ضد إسرائيل يسمح بنسج كل أنواع المؤامرات ضد الشعوب العربية. وإن تزويد الغرب للعراق بالأسلحة يهدف بشكل خاص إلى سحق الشعوب العربية التي تناضل من أجل استقلالها: مثل سوريا. وتقدم الحكومة العراقية هذه الأسلحة باعتبارها تهدف إلى دعم الكفاح ضد إسرائيل. وإن دخول القوات العراقية إلى الأردن منذ شهور قليلة تم تحت ستار "الدفاع" عن الأردن ضد إسرائيل الخ.

وكان الوضع في الأردن مماثلا للوضع في العراق حتى الانتخابات الأخيرة التي أتت بحكومة بورجوازية وطنية إلى السلطة (ويجب أن نعرف أن العرب اعتبروا أن الهجوم الإسرائيلي ضد الأردن قبل الانتخابات مباشرة وسيلة للضغط لحساب الإمبرياليين ضد الحركة الوطنية في هذا البلد). وإن صراع الإقطاعية الممثلة في السراي ضد الحركة الوطنية، الذي كان حلقة منه دخول القوات العراقية إلى الأردن، الذي أشرنا إليه فيما سبق، تم تحت ستار تدعيم النضال ضد إسرائيل.

ويسود في العربية السعودية واليمن نظم أوتوقراطية قبلية أكثر منها إقطاعية. وحكوماتها مستقلة نسبيا. وتقدم الولايات المتحدة دائما أسلحة إلى العربية السعودية بحجة النضال ضد إسرائيل ، وفي الواقع أنها لحماية النظام ضد الحركات الشعبية التي إذا وجدت في السلطة يمكن أن تهدد الامتيازات الكبيرة للاحتكارات البترولية الأمريكية.

إن تكوين الحكومة الأخيرة في سوريا يمثل في التحالف بين الإقطاعيين والبورجوازية غلبة البورجوازية الوطنية على الإقطاعية. وعلى العكس من ذلك نجد في لبنان تحالف مصالح مختلفة ويسود في السلطة التجار المرتبطون بالمصالح المالية الغربية.

ولاعتبارات متعددة سيطول الحديث فيها باستفاضة نجد أن هاتين الحكومتين ضد إسرائيل وبالأحرى ضد إقامة سلام مع هذا البلد.

الوضع مختلف في مصر. ففي هذا البلد من السهل قبول فكرة السلام مع إسرائيل. فالفئة الحاكمة التي تعتبر جزءا من البورجوازية الوطنية أكثر واقعية من البورجوازيات العربية الأخرى، وهي أيضا أكثر قدرة على مواجهة الصعوبات التي ستنشأ من التغيير العميق للوضع الحالي. وهي تدرك بدرجة معينة أن الإمبريالية هي التي تستفيد في نهاية الأمر من النزاع، لأن السلام يحرمها من أقوى أوراقها الرابحة. وهي تدرك تماما خطر التفوق العسكري الإسرائيلي والذي لن يختفي قبل سنوات عديدة. ومن جهة أخرى وعلى عكس البلاد الأخرى المجاورة لإسرائيل، فإن مصر لا تعتبر أن إسرائيل تمثل خطرا على وجودها نفسه.

ولكن من المؤكد أن النظام لن يتخذ في الظروف الحالية أي مبادرة في هذا المجال. أولا لأن هناك مصالح اقتصادية هامة تستفيد من الوضع الحالي. فالحصار يسمح بعدم مواجهة المنافسة الإسرائيلية في الأسواق العربية وتسهل بذلك غزو هذه الأسواق. ومن الناحية السياسية يريد النظام تدعيم الصلات التي تربطه بالدول العربية الأخرى، وتكوين كتلة قادرة على تحقيق

مقاومة فعالة للمشاريع الإمبريالية، وممارسة الهيمنة في هذه الكتلة بقدر الإمكان: وتعتبر أن الكفاح ضد إسرائيل يسهل هذا التجمع. ومن الناحية الداخلية أيضا يبدو لها هذا الكفاح هو أفضل وسيلة لتجميع كل قوى البلاد حول القادة الحاليين.

ولكن يوجد في مصر قوى يسارية كبيرة، يطول الحديث إذا قدمنا تحليلا لها. هناك في مصر حركة شيوعية مقسمة من الناحية التنظيمية، وضعيفة من الناحية السياسية ولكنها مليئة بالديناميكية الثورية ولها تأثير كبير على الجماهير. فالجماهير المصرية هي من أكثر الجماهير حساسية لإشعاع الأفكار الاشتراكية. وهذا لسبب بسيط أن لها ثقة غريزية أن الاشتراكية وحدها تسمح لها في ظروف مصر، بحل المشاكل الهائلة التي تتمثل في إطعام وعلاج وتعليم وتسكين وإلباس الخ السكان المصريين.

وقوى اليسار هذه تمارس أيضا نفوذا كبيرا على النظام نفسه. لقد تعاونت مع الحكام الحاليين في النضال ضد فاروق والإقطاعيين ثم في النضال ضد الأحلاف العسكرية العدوانية الذي يريد الإمبرياليون ربط مصر بها.

وكثير من العناصر القيادية مرت بصفوف الشيوعيين وحصلت على تكوين ماركسي. وأخيرا يعتبر الشيوعيون حاليا القوة السياسية المنظمة الوحيدة في مصر وهذه القوة هي أكثر القوى إخلاصا في مساندة النظام.

وهكذا نجد أنه يوجد في مصر قوى سياسية قادرة على دفع الجماهير الشعبية والنظام إلى قبول التفاوض السلمي لحل النزاع العربي الإسرائيلي: ومصر من ناحيتها قادرة على جذب الدول العربية الأخرى للمشاركة في هذه المفاوضات. ولكن لكي تستطيع قوى اليسار في مصر وفى الدول العربية الأخرى أن تتحرك، ولكي تستطيع الجماهير العربية بشكل عام قبول فكرة مفاوضات سلمية ولكي تضغط على حكوماتها يجب أن تأتي المبادرة من القوى الديمقراطية العالمية.

إن الدعاية الشوفينية لكل الحكام العرب وتواطؤ إسرائيل المستمر مع ألد أعداء العرب، وأخيرا سياسة الصداقة مع البلاد العربية التي يمارسها المعسكر الاشتراكي التى لا تدرك الكثير من عناصر اليسار مدلولها المحدد بسبب ضعفها السياسي الذي لا جدال فيه كل ذلك يمنع اليسار من أن يتخذ بنفسه مبادرة لا تضمنها القوى الديمقراطية. ومن هذه الناحية يجب أن نذكر أنه إذا كان الشيوعيون قد أيدوا عام ١٩٤٨ بلا تحفظ قرار تقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل كان ذلك بسبب وحيد، في البداية على الأقل، هو ثقتهم في الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية التي ساندت هذا المشروع. أما في الوقت الحالي فالديمقراطيون في العالم يسكتون. ومن هنا نشأ الشعور لدى اليساريين في مصر أن هذا الصمت لا يعني إلا شيئا واحدا وهو أن الحديث عن السلام غير مناسب في الوقت الحالي على الأقل.

هذه الاعتبارات هي التي دفعتنا إلى الاعتقاد بأنه يجب البدء في الظروف الحالية بتعبئة القوى الديمقراطية في العالم حول فكرة التفاوض السلمي لحل النزاع العربي الإسرائيلي.

إن صعوبة هذه التعبئة كبيرة جدا.

إذا اتخذت القوى الديمقراطية في بلد واحد وخصوصا بلد غربي مبادرة في هذا المجال فإن قوى كبيرة من الإمبريالية والرجعية في هذه المنطقة سيلعبون لعبة وصفها "بعملاء الصهيونية" ونعوت أخرى من نفس النوع. وهذا يهدد قوى اليسار العربية بتسهيل عزلها. وسيكون من الصعب في الواقع عدم الشعور بأن مثل هذه المبادرة تمثل تدخلا في شئون الأوسط أو "كدّرس" من الصعب قبوله مَن قبل القوميين سريعوا الانفعال. ولهذا بدا لنا أن الخطوة الأولى هى الإعداد لنداء عالمي.

وإذا وقع على التوالي من شخصيات ديمقراطية من عديد من البلاد، فإنه لن يبدو مشكوكا فيه ويوصم بأنه "مبادرة صهيونية". ولكنه لهذا يجب أن يستجيب لشروط ثلاث:

١) يجب اختيار الموقعين على هذا النداء بحكمة شديدة من بين شخصيات لا يتطرق الشك إلى شعورهم الودي تجاه العرب. ولا يجب أن يضموا توقيعا واحدا من أي شخص وافق على العدوان على مصر، أو أي شخص يشك في اتخاذه موقفا ضد مطالب حركة التحرر الوطنى في الجزائر. فهذا التوقيع يضر بشكل لا يمكن إصلاحه بكل المشروع.

٢) يجب أن يحرر النص بحيث أن من يوقعونه يمكن اعتبارهم يشعرون بحد أدنى من التعاطف مع العرب.

٣) يجب أن نجد مركز الثقل في التوقيعات في بلدان باندونج، وخصوصا في آسيا وفي الهند بالذات. فهذه البلاد ليست مشكوكا فيها فى نظر العرب مثل البلاد الغربية. وهذا لا يمنع بالطبع أن يشمل النداء عددا من التوقيعات الأوروبية حتى يكون له الصدى المطلوب. بشرط ألا يكون عددها اكبر من التوقيعات الأسيوية وأن يستجيب للمتطلبات المذكورة أعلاه.

*

هناك نفطة اخيرة نسمح لأنفسنا بأن نجذب إليها اهتمامكم. فالمشروع المعروض عليكم لن يقتصر فقط على نداء من أجل السلام، ولكنه يقترح شكلا معينا للتفاوض السلمي. وهو مؤتمر دولي يشترك فيه دول صديقة للجانبين. ونحن نعتقد في الواقع أن هذا هو الشكل الوحيد القابل للتوصل إلى نتيجة وقد أثبت نجاحه. فاللجوء إلى الهيئات الدولية، مجلس الأمن أو الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لا تعطي أحدا الشعور بإمكانية النجاح لأن غالبية القرارات التي اتخذتها منذ ١٩٤٩ فى هذا المجال لم يحترمها أي من أطراف النزاع. (رفضت إسرائيل إعادة اللاجئين العرب، ورفضت مصر السماح للسفن الإسرائيلية بعبور قناة السويس، وهناك أمثلة عديدة). فضلا عن أن منابر هذه الهيئات التي تتبادل منذ سنوات الاتهامات الشديدة العنف، لا تصلح بالطبع للمفاوضات. وأخيرا فإن حقيقة أنه تكفى الغالبية للحصول على قرار يمنع التوصل إلى حل مقبول من جميع أطراف النزاع.

وهناك اعتبار هام آخر. وهو أنه في مثل هذه المفاوضات، تكون التنازلات حتمية إذا كنا نريد التوصل إلى حل. ففي مواجهة الرأي العام المتشدد من المشكوك فيه أن تقبل الحكومات العربية مسئولية تلك التنازلات. وجود قوى أخرى صديقة للعرب تسمح بتحميلها تلك المسئولية. فالتنازلات التي ترعاها هذه القوى لن تبدو خيانة، ولكن باعتبارها الشروط المقبولة للسلام. ولن يمكن اتهام الحكومات العربية أيضا بأنها تركت نفسها "تنزلق" أمام خصم يعتبر شديد المكر. ونحن مقتنعون أن المؤتمر الدولي سيسمح بالتغلب بشكل أفضل على الصعوبات والتوصل إلى إقامة سلام دائم بين إسرائيل والبلاد العربية.

*

إن المشروع الذي تركنا لكم نسخة منه حصل بالفعل على موافقة الشخصيات الفرنسية التالية:

السادة ماسينيون ومورياك وبورديه ورو وبارا ومورجان. وهو الآن معروض علي:

السادة كوت وداستيته دي لافيجيري وس.أ.جوليان. وكذلك على شخصيات إيطالية.

وما أن نحصل على الردود فإننا سنرسل النداء إلى السيد فينير بروكواي النائب العمالي رئيس الحركة من أجل تحرير المستعمرات "Movement For Colonial Freedom"، التي تعتبر منظمة قوية جدا. وقد قبلت بالفعل مهمة الحصول على موافقة بعض الشخصيات الإنجليزية التي تتفق مع المتطلبات المذكورة أعلاه.

والتزمت بالتالي بتوصيلها إلى أكبر عدد ممكن من الشخصيات الهندية والأسيوية. وبعد ذلك وواضعين فى اعتبارنا التوقيعات الأسيوية التي حصلنا عليها، سنحاول الحصول على توقيعات من شخصيات ديمقراطية من أكبر عدد ممكن من البلاد.

وإن نشر النداء في اللحظة المناسبة سيسمح بالحصول فيما بعد على انضمام عدد كبير من الشخصيات الذين لم نستطع الاتصال بها شخصيا.

وأخيرا أثرنا مع السيد بروكواي مشروع إنشاء لجنة دولية من أجل السلام بين إسرائيل والبلاد العربية يمكنها أن تتابع العمل الذي يدعو النداء إليه من الموقعين الأساسيين للنداء.

(١٩٥٦)

نداء عالمي

إلى حكومات وشعوب الدول العربية في الشرق الأوسط

ودولة إسرائيل

دون الرغبة في التدخل في الأمور الداخلية لبلادكم يوجه الموقعون أدناه نداء لإقامة سلام عادل ومشرف بين إسرائيل والدول العربية في الشرق الأوسط، سلام نحققه بلا أي ضغط أو إكراه عسكري، مدركين أننا نخدم بذلك المصالح العليا لهذه البلاد ومدفوعين بشعور الصداقة المخلصة والخالصة تجاهكم.

إن الموقعين أدناه يعتبرون من الضروري أن يعلنوا عن اقتناعهم بأن انسحاب القوات الإسرائيلية وراء الحدود التي حددتها اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ كانت شرطا ضروريا، ومقدمة لا غنى عنها لمفاوضات السلام المقبلة. وهم يعتبرون فى الواقع أن تغيير الحدود يجب أن يتم فقط في إطار مفاوضات سلمية. وقد وضعنا هذه القاعدة لصالح الطرفين. وان السماح بخرق هذه القاعدة يعنى تشجيع كل من الطرفين باستخدام العنف لمحاولة الحصول على تعديلات في الحدود لصالحه.

إن الاشتباكات المستمرة منذ أكثر من ثماني سنوات أضرت ضررا بالغا بالطرفين المعنيين.

– إن مئات الآلاف من اللاجئين ضحايا النزاع الأساسيين، واللذين لا يمكن تسوية مصيرهم إلا في إطار حل شامل، مازالوا يعيشون في ظروف مادية لا يمكن السماح بها.

- تحتفظ الدول العربية في الشرق الأوسط وإسرائيل في قواعدها العسكرية بقوات هائلة تكلف نفقات باهظة ضرورية لتحسين ظروف معيشة شعوبها.

- وأخيرا بينت الأحداث الأخيرة أن العالم كله يخاطر بجره إلى مواجهة شاملة تنشأ عن هذا الوضع.

إن النزاع الحالي أوضح حقيقتين:

أولا: أن حالة "اللاحرب واللاسلم" تؤدي إلى الحرب في اول مناسبة.

ثانيا: أن التفوق العسكري مهما كان كبيرا لا يمكن أن يضمن النصر لأي جانب على الجانب الآخر، إذا وضعنا في اعتبارنا أن تدخل الدول الأخرى سيكون العامل الحاسم في أي نزاع يحدث.

لا يوجد إذن إلا حل واحد يمكن قبوله: إقامة سلام دائم لصالح شعوبكم ولصالح كل شعوب العالم. وإدراكا منا للعقبات الهائلة التي تفصل بينكم فإننا مع ذلك مقتنعون بأنه لا يوجد صعوبات لا يمكن التغلب عليها عندما يكون الأمر متعلقا بالسلام.

ونعتقد أنه للوصول إلى هذا السلام، يجب القيام بمفاوضات في إطار مؤتمر دولى ينعقد لهذا الغرض.

ومع احترامنا للعمل الذي قام به مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة يجب أن نقرر بأن ثماني سنوات من الجهود لم تستطع التوصل إلى تسوية نهائية للنزاع. وعلى العكس من ذلك فإن الخبرة الدولية بينت أن المنازعات التي تبدو مستعصية على الحل يمكن تسويتها في إطار مؤتمر دولي. إنها هذه الخبرة هي التي نطالب بتطبيقها على النزاع العربي الإسرائيلي. وسيعقد هذا المؤتمر وفقا لمبادئ هيئة الأمم المتحدة وسيشمل فضلا عن الدول المتنازعة عددا من الدول الصديقة للطرفين. وإن وجود هذه

البلاد سيضمن للشعوب موضوع النزاع أن شروط السلام لن تضر بمصالحها الأساسية.

إن الموقعين أدناه يؤكدون أنهم لا يعتبرون أن المؤتمر الدولي الذي يدعون إليه هو الشكل الوحيد الممكن للتفاوض على شروط السلام، ولكن فقط لأنه يبدو لهم أنه أكثر الأشكال التي يمكن أن تحصل على قبول البلاد أطراف النزاع.

إن الموقعين أدناه يعلنون أنهم مستعدون للمساعدة على لقاءات دولية باشتراك شخصيات عربية وإسرائيلية، لقاءات تهدف إلى دراسة الشروط والأسس لتسوية سلمية للنزاع العربي الإسرائيلي.

إن إقامة سلام دائم بين إسرائيل والدول العربية سيكون انتصارا كبيرا لشعوب الشرق الأوسط ولكل شعوب العالم.

بعض الشخصيات التي وقعت البيان.

ألمانيا:	والتر دركس	
	الأستاذ يوجين كوجون	
	القس مارتن نيمولير	
انجلترا:	جون بيرد.	عضو برلمان
	فينير بروكواي	عضو برلمان
	ميشيل فوت	عضو برلمان
	موريس أورباخ	عضو برلمان
	باتريشياروشتون	
	جوردون شافر	
	مينبل سكوت	
	دونالد . أ . سوير	
	جورج ويج	عضو برلمان
غيانا الانجليزية:	شدي جاجان	
إيطاليا:	جيراردو بروني	
	مارجنتا جى	

الأستاذ س. تي جيسيني
بيترو نيبي
فرنسا: إمانويل داستييه دي لافيجبري
روبرت بارلي
شارل بتلهايم
القس فرانسيس بوسك
كلود بورديه
جان ماري دومناك
بييركوت
مدام ايف فارج
جاك هادا مارد
ألان لولياب
لويس ماسينيون
فرانسوا ميتران
كلود مورجان
القس هنري روزيه
جان رو
جان بول سارتر
القس أندريه تروكم
القس موريس فوج
سويسرا: رينيه بوفارد
ليون نيكول
أدموند بريفا

العالم الأسود

الولايات المتحدة: وليم بورجارت ديبوا
شيرلي جراهام
غانا: دزموند بوكل
هاييتي: جون برايس مارس
مدغشقر: جاك رابيمانانجارا
مارتينيك: إيميه سيزير
السنغال: أليون ديوب

بذر العدوان الثلاثي الشك في نفوس رفاق هنري كوربيل. إلى جانب عمله من أجل السلام الذي كان يقوم به في الخارج واصل هنري كوربيل جهوده لإقناع رفاقه بعدم اليأس ومواصلة نضالهم لما أعتبره المصلحة الأساسية للشعب المصري ولكل شعوب الشرق الأوسط، أي من أجل السلام.

وفيما يلي بعض مقتطفات من مراسلاته

مع رفاقه في مصر

:::

من رسالة وصلت من مصر

نطلب من هنري أن يوضح ما بدا أنه تغيير في مواقف الأحزاب الشيوعية حول مسألة السلام، لأن التصريحات المتعددة تفسر بالشكل التالي: "من المستحيل النقاش حول السلام قبل طرد الإمبريالية تماما من المنطقة. (..)

(١٥ يوليو ١٩٥٧)

* * *

رسائل إلى مصر

(مقتطفات)

( ) السلام

أؤكد لكم أنه لا يوجد أي تغيير في الخط. ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا العوامل التالية:

أ) رغبة المنظمات الديمقراطية بعدم القيام بأي مخاطرة للاستفزاز، تهدد بعزل البلاد العربية عن هذه المنظمات. وهناك رغبة مماثلة من بعض البلاد وخصوصا الصين.

ب) هناك ضرورة بالنسبة لبعض البلاد (فرنسا مثلا) للنضال قبل كل شيء ضد التحالف مع الحكومة الإسرائيلية، ضد الدعاية الإسرائيلية التي تتسع بشكل لا يصدق.

جـ) يبدو لى أيضا أن التأكيد على المسئولية الإمريالية في النزاع العربي الإسرائيلى ليس صحيحا فحسب بل وبسهل الحل الى حد ما يجعل مسئولية إسرائيل اخف.

ومرة أخرى كيف لا نفهم أننا لا نلعب لعبة الإمبريالية إذا انتظرنا رحيلها لحل النزاع. وعل النقيض كيف لا نفهم، أنه لا شيء يقوي نفوذ الإمبريالية في المنطقة إلا النزاع العربي الإسرائيلى أي أنه لا شيء يوجه إليها مثل هذه الضربة إلا حل هذا النزاع.

وانتظارا حتى يأتي الحل كيف لا ننمي نضالنا من أجل السلام وكيف لا ننمي عملَ قوى السلام في مصر وفي البلاد العربية.

ألن يكون ممكنا بسبب تنمية هذا النضال أن قوى السلام الإسرائيلية تستطيع بدورها أن تنمو وتصبح قادرة على الحفاظ على السلام. لقد شوحت هذه النقطة لميكونيس وسنيه. وقد أكدوا لي أن "كل شيء سيتغير" في إسرائيل إذا توطدت قوى السلام في البلاد العربية.

لماذا هذه المخاوف المستمرة؟ كيف نخشى مرة أخرى "تغييرات في الخط" بعد المذكرة حول مواقف الاتحاد السوفييتي؟ أي "خط" يمكن أن يفترض أن النضال من أجل السلام ضار في النزاع العربى الإسوائيلي؟ أي "خط" يمكن أن نقترحه لجعل هذا النزاع دائما؟ ( )

(٢٢ يوليو ١٩٥٧)

( ) السلام (يتبع)

إن النضال من أجل السلام مع إسرائيل يعطي قوة ملحوظة ولو لم يكن إلا في النضال ضد الدعاية الإسرائيلية الرسمية. من الصعب أن نروي لكم الانتصارات التي حققناها هنا عند قطاعات هامة من اليسار الأوروبي ضد دعاية الجبهة الإسرائيلية. لقد كانت حججنا صحيحة بالتأكيد، ولكنهم استمعوا إلينا فقط لأننا نناضل من أجل السلام مع إسرائيل.

إن الديمقراطيين يقفون مع وقف الاشتباكات في الجزائر، ومن أجل المفاوضات السلمية بين فرنسا والجزائر. وهم من أجل وقف الاشتباكات في قبرص ومن أجل المفاوضات السلمية. ولكن قبرص والجزائر مستعمرات،

أي بلاد يقع جهاز الدولة فيها في أيدي الإمبرياليين. وهل يجب أن نرفض المفاوضات السلمية مع اسرائيل؟

هذا يعني وأنني متفق تماما مع حمال عبد الناصر عندما ينادي "بتسوية شاملة". وفي رأيي أنه من الخطأ إعطاء أي شيء إلى إسرائيل: اعتراف أو حق المرور الخ دون الحصول في نفس الوقت على ضمانات تتعلق بالفلسطينيين العرب. ولكن سياسة "التسليم" في هذا المجال هي بالتحديد التي تؤدي بإسرائيل إلى الحصول على ميزات دون مقابل. وهي في الحقيقة قد حصلت على حق المرور في خليج العقبة، ومن الممكن أن تحصل على حق العبور في قنال السويس فى نفس الوقت الذي تقتل فيه الأمة العربية في فلسطين.

وعند مواصلة سياستنا من أجل السلام ننشر مذكرة تتعلق بالتصريحات السلمية للقادة المصريين وخصوصا تصريحات جمال عبد الناصر. وإننا واثقون أن هذه المذكرة التي سنرسل لكم نسخة منها سيكون لها صدى كبير في الخارج.

(. . .) استلمنا بالأمس المجلة الأسبوعية (موليير) التي تحتوي على مواد هامة ومن بين المواد كان هناك ذلك "العمل الفذ" وهو "برنامج الحزب الشيوعي المصري الموحد". يقرر البرنامج أن تحقيق السلام مع إسرائيل يساوي دخول حلف بغداد!؟! إنها الماركسية الخلاقة!

يبدو أنه يوجد فى مصر اتجاه حقيقي "للشيوعية القومية" ..

إن موقف جمال عبد الناصر في هذه المشكلة أفضل مائة مرة وهو ما يعرضه في الصحافة الأجنبية. ولكن إذا اكتفى الشيوعيون في هذا المجال بألا يكونوا على يمين عبد الناصر، واكتفوا بالسير وراء عبد الناصر، لأصبح الوضع مختلفا تماما.

سأحاول أن أرد مباشرة على هذا "الخط" الوارد في البرنامج.

(٢٣ يوليو ١٩٥٧)

وفي مصر نفسها وداخل الحركة الشيوعية دارت مناقشات بالغة الحيوية. وظهرت عدة مواقف:

- البعض يدعو إلى التصفية الكاملة لدولة إسرائيل بكل الوسائل بما في ذلك الحرب. أليست إسرائيل قاعدة إمبريالية أمريكية وألم تقم بعدوان ضد مصر؟

- آخرون يساندون سياسية عبد الناصر وهي "لا حرب ولا سلام": سياسة حرب استنزاف محسوبة لتجنب المواجهة العامة تؤدي إلى انهيار دولة إسرائيل.

- وآخرون في النهاية يمثلون المواقف التقليدية لحدتو ويدافعون عن حق دولة إسرائيل في الوجود إلى جانب دولة فلسطينية على أساس قواعد التعايش السلمي.

وبعد أن تعرف هنري كورييل على عناصر هذا النقاش أرسل لرفاقه التقرير التالي:

حول العلاقات العربية الإسرائيلية

تعرفنا على تقرير الزميل حميدو المعنون "المشكلة الفلسطينية، الوحدة العربية وموقفنا تجاه إسرائيل". قرأنا أيضا تقرير الزميل عزيز المعنون "المشكلة الفلسطينية والنزاع العربي الإسرائيلي" ورغم أننا نوافق على الجهد الذي بذله الزميل حميدو لإثارة مناقشة جديدة حول هذه المسألة سواء داخل أو خارج الحزب، ففي رأينا أن تقرير الزميل عزيز يصحح كثيرا من الضعف الذي يمكن أن نجده في تقرير الرفيق حميدو. وهو يضيف اعتبارات وملاحظات ملائمة جدا. ولهذا فإننا نؤيد بالكامل مضمون تقرير الزميل عزيز ونهنئه على هذا العمل اللامع. ولاشك أنه ينتج عنه مكسب كبير لحزبنا ولسياسة بلادنا.

وفي الواقع فإننا نوصي كل الزملاء وعلى وجه الخصوص زملاء اللجنة المركزية بدراسة التقرير الهام الذي حرره الزميل يونس في أغسطس ١٩٥٣ والذي أرسله إلى اللجنة المركزية لحدتو. وهذا التقرير المعنون "العلاقات بين إسرائيل والبلاد العربية" يمكن اعتباره مع التعديلات غير الجوهرية التى فرضتها أحداث السنوات الأخيرة أساس السياسة التي يجب أن يتبعها حزبنا حول هذه المسألة.

والهدف من هذه المذكرة إضافة بعض الملاحظات لتقرير الزميل عزيز.

أ) لماذا نطالب بالسلام بين البلاد العربية وإسرائيل

يجب طرح هذا السؤال والإجابة بطريقة مقنعة.

– ان احد الافكار السائدة اليوم والتي تنشرها الأوساط الرجعية العربية والتي تجد لها صدى واسعا عند التقدميين وخصوصا في سوريا ولبنان هي ان الوضع الحالي يفرض على إسرائيل تضحيات هائلة بينما لن تعاني البلاد العربية إلا أقل القليل. إن إسرائيل هي التي تعاني من الحصار الاقتصادي ومن إغلاق قناة السويس، وتكلف المصاريف العسكرية إسرائيل عبئا ضخما. وبالتحديد كل هذه العوامل ستؤدي الى انهيار دولة إسرائيل. ولهذا فإن عقد سلام ولايهم أي سلام في الواقع لا يمكن إلا أن يفيد إسرائيل الذي ستستخدمه لاكتساح أسواق الشرق الأوسط.

وأولئك الذين يدافعون عن وجهة النظر هذه يفكرون في نهاية الأمر مباشرة أو غير مباشرة، أنه يجب مواصلة الحرب ضد إسرائيل حتى تدمير هذه الدولة.

١- إن أحد مبادئنا الأساسية هو الاعتراف بحق تقرير المصير لكل الشعوب. وإن قرار التقسيم الذي اتخذته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان قائما على هذا المبدأ. وإذا كان مؤتمر باندونج طالب بتطبيق هذا القرار الدولي إلى جانب جميع قرارات هيئة الأمم المتحدة الأخرى فذلك لأنه اعترف بحق تقرير المصير لشعب إسرائيل أي حقه في الحياة المستقلة داخل حدود دولته. وهذا يعني أيضا التخلي عن الحرب واللجوء إلى مبادئ التعايش السلمي.

٢- إن الوضع الحالي والمنازعات التي لا تنتهي التي تسببها، تعطي مبررات مستمرة للقوى الإمبريالية للتدخل في شئون الشرق الأوسط. وهذه التدخلات لا تهدد فقط استقلال إسرائيل ولكنها تهدد أيضا استقلال كل بلدان الشرق الأوسط، ولهذا فإن المصلحة الأساسية لحركات التحرر الوطني لكل شعوب الشرق الأوسط الشعب الإسرائيلي والشعوب العربية كلها، يتطلب تصفية الوضع الناشئ من أحداث السنوات العشر الماضية (تحويل عمل حركات التحرر الوطني المعادية للإمبريالية إلى حرب بين إسرائيل والبلاد العربية الخ).

٣- إن الوضع الحالي: الحرب الباردة والساخنة بين إسرائيل والبلدان العربية يمثل خطرا دائما في الشرق الأوسط. وإن مصلحة كل شعوب الشرق الأوسط (ولا فرق فى هذه الحالة بين شعب إسرائيل والشعوب العربية) يتطلب وقف الحرب في هذه المنطقة. إن ضحايا هذه الحرب لا يمكن أن يكونوا إلا الكادحين في البلاد العربية وفى إسرائيل. ألا تعتبر العمليات العسكرية الأخيرة دليلا إضافيا ومقنعا على هذا التأكيد؟

٤- إن التهديد بحرب في الشرق الأوسط يمثل خطرا على السلام العالمي. ولهذا فإن كل أنصار السلام في العالم أدانوا العدوان الإمبريالي ضد مصر. ويجب أن نؤكد من جديد أن استمرار الوضع الحالي لا يعنى إن عاجلا أو آجلا إلا شن حرب جديدة. حول هذه النقطة بالتحديد لا نتفق مع الزميل عزيز، لأنه بالنسبة لنا لا يوجد فرق أساسي بين من ينادون صراحة بالحرب وأولئك الذين يدافعون عن الوضع الحالي لأننا يجب أن نذكر "أن الحرب ليست إلا مواصلة السياسة ولكن بطرق أخرى". ماذا يمكن أن يعني إستمرار الوضع الحالي إذا كنا نواصل السياسة التي تؤدى بنا حتما يوما ما الى حرب جديدة ؟

وأفضل دليل من وجهة نظرنا لدرجة التأثير على الرأي العام لأبطال حرب جديدة وللمدافعين عن الوضع الحالي هي الاتهام "بالخيانة العظمى" الذي يحملونه ضد كل من يدافعون عن فكرة السلام بين الدول العربية وإسرائيل. وهم يريدون أيضا إقناعنا بأن "الوطنية العربية" لن تكتفي بأقل من حرب ساخنة أو باردة بين البلاد العربية وإسرائيل. ويجب التأكيد أن الرجعيين الإسرائيليين يتهمون أيضا الشيوعبين في إسرائيل " بالخيانة العظمى" وذلك لنفس الأسباب، أي بسبب نضالهم من أجل السلام. هذا النوع من الاتيام لن يخيفنا. فالرجعيون اتهموا الشيوعيين مرات عديدة "بالخيانة العظمى" ولكن الشعوب فهمت سريعا أن هذه "الخيانة" المزعومة لم تخن إلا مصالح الإمبريالية والرجعية. ومن ناحيتنا فاننا نفخر "بخيانتنا" المستمرة لهذا النوع من المصالح المعادية للشعب.

ومع ذلك فمن الضروري، حتى يتقدم نضالنا، أن نقضي تماما على هذه الآراء الخاطئة. يجب أن نثبت بطريقة لا تحتمل الجدل أن النضال من أجل السلام بين البلاد العربية وإسرائيل واجب علينا، وأن هذا السلام يخدم المصالح الأساسية للشعب الفلسطيني والشعب المصري وكل الشعوب العربية، وهو يخدم أيضا السلام في العالم. يجب أيضا أن نضع أسس سلام ثابت بين البلاد العربية وإسرائيل. ويقدم الزميل عزيز في تقريره اقتراحات متعددة مقنعة تماما. ولذلك فلا يجب تكرارها.

٥- إن الوضع الحالى ينعش سباق التسلح في كل الشرق الأوسط. إنه يؤدي إلى إفقار كل شعوب المنطقة، وإلى فقد التوازن في ميزانياتهم، وتصفية كل مشاريعهم للتنمية الاقتصادية. ويؤدي سباق التسلح أيضا إلى نشر دعاية شوفينية متطرفة: عقبة في طريق التطور الديمقراطي، وتهدد كل المطالب الشعبية، وهي أرضية ملائمة لتنمية الشعور المعادي للسامية في البلاد العربية والشعور المعادي للعرب في إسرائيل. وكل هذا يكون أرضية ملائمة للدعاية الفاشية والعقلية العدوانية. وقد سمحت الأوضاع الحالية كذريعة أكثر من مرة، للحكومات الرجعية لفرض الأحكام العرفية، وفتح معسكرات الاعتقال، وتدمير الحركات التقدمية واتهام كل ديمقراطي "بالخيانة العظمى". ظهرت هذه الاتجاهات بوضوح في مصر والعراق وسوريا والأردن وفي إسرائيل نفسها.

ويجب أيضا أن نرد على أولئك الذين كانوا يدعون ولا نعرف إذا كانوا مستمرين في قول ذلك أن عقد سلام بين البلاد العربية وإسرائيل يمكن أن يساعد الإمبريالية الأمريكية على تنظيم تحالف عدواني في الشرق الأوسط موجها ضد الاتحاد السوفييتي. إن تاريخ السنوات العشرة الأخيرة يرد على هذه الحجة. فقد عقد ميثاق بغداد بينما كانت حالة الحرب قائمة بين البلاد العربية وإسرائيل. وإن يقظة البلدان العربية وحدها والفضح النشط لهذه المواثيق الإجرامية هو الذي أدى إلى إفشال هذه المشاريع. والحقيقة أن عقد سلام في الشرق الأوسط لن يساعد الإمبريالية في مشاريعها العدوانية

الإجرامية. وعلى العكس تماما فإن السلام يمثل عقبة أمام الإمبريالية ويدعم استقلال كل بلدان هذه المنطقة. ولهذا يجب أن نقول بصراحة كاملة وبعزم كبير أننا نعمل من أجل السلام بين البلدان العربية وإسرائيل لأن السلام لا يخدم المصالح العليا للشعب المصري فحسب، بل ومصالح كل شعوب هذه المنطقة في نضالها ضد الإمبريالية ومن أجل السلام العالمى.

نحن ندافع عن السلام. نعم. ولكن أي سلام؟

(ب) إذا كنا نقبل أنه من واجبنا ومن مصلحتنا أن ندافع عن ضرورة السلام بين البلاد العربية وإسرائيل، فإننا نستطيع مع ذلك أن نتساءل: نعم، ولكن أي سلام؟ يجب أن نكافح ضد اتجاهين خاطئين بنفس المستوى:

١- الاتجاه للاستسلام: إن المشاكل المحددة موضوع الخلاف تتعلق أساسا بالشعب الفلسطيني. فإسرائيل لم تستولى على أراضى مصرية ولا على أموال مصر (كتب ذلك عام ١٩٥٧ المحرر) انه الشعب الفلسطيني الذي فقد جزءا كبيرا من أراضيه، أكبر مدنه وأغلب أمواله. يجب الدفاع عن مصالحه ومحاولة استرداد كل ما يمكن استرداده. وأفضل ضمان للدفاع عن هذه المصالح هو إشراك ممثلين عن اللاجئين الفلسطينيين في كل المفاوضات التي يمكن أن تحدث لحل النزاع. وواجبنا هو المطالبة بلا توقف وفي كل المناسبات باشراك ممثلين عن اللاجئين الفلسطينيين في كل المفاوضات. يجب أن نضع حدا نهائيا للمارسة الحالية التي تتمثل في أن تتحدث البلاد العربية سواء بالحق أو بالباطل عن الشعب الفلسطيني. إن هذا الشعب يجب أن يقرر مصيره بحرية. يجب أن يعبر عن رأيه حول هذه المشاكل، لأنه هو الضحية الأساسية، ووجهة نظره يمكن أن تكون مختلفة عن وجهة نظر البلاد العربية الأخرى.

٢- الاتجاه نحو وضع الشروط المسبقة: إن المدافعين عن الحرب وعن السلبية الحالية يختفون كثيرا خلف شروط مسبقة يعتبرون أنه من الضروري مراعاتها قبل التفكير في أي سلام. يجب ملاحظة أن هذا الاتجاه يوجد في البلاد العربية وكذلك في إسرائيل. في البلاد العربية يوضع كثيرا كشرط مسبق للسلام: "حل مشكلة اللاجئين"، أو "العودة إلى حدود عام ١٩٤٧"، أو "أن تخرج إسرائيل من النفوذ الإمبريالي". وفي إسرائيل أيضا يتطلب أنصار الحرب: "الاعتراف الفوري بإسرائيل"، أو "حرية الملاحة في قناة السويس والعقبة" أو اعتراف البلاد العربية بالحدود الحالية لإسرائيل" الخ.

هناك الحجة التي تقول أن إسرائيل يجب أن تخرج من النفوذ الإمبريالي. هذه الحجة يرددها كثيرا شيوعيو البلاد العربية. يمكن أن نقرأ هذه الحجة في قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ونجده أيضا في تقرير الزميل عزيز. يقول قرار الحزب الشيوعي السوري: ".. إن السلام الأكيد لا يمكن أن يأخذ طابعا دائما إلا إذا لم تصبح إسرائيل قاعدة إمبريالية وأداه للعدوان بين أيدي الإمبرياليين".

صحيح أن حكومات إسرائيل جعلت من بلادها أداة طيعة بين أيدي الإمبرياليين موجهة ضد استقلال البلدان العربية. ولكن هل هذا يمكن أن يكون مبررا لشن حرب ضد إسرائيل أو لاستمرار الوضع الحالي والحرب الباردة حتى تطرد الإمبريالية من المنطقة؟ لسنا من هذا الرأي. فكوريا الجنوبية مثلا كانت ومازالت قاعدة إمبريالية أمريكية. ولدى حكومة كوريا الجنوبية قدرا من الاستقلال أقل بلا شك من درجة استقلال حكومة إسرائيل تجاه الولايات المتحدة. ولكن هذا لم يمنع أبدا من عقد السلام في كوريا. نفس الوضع في فيتنام. فإن عقد السلام لم يكن أبدا عقبة أمام مواصلة الحرب ضد الإمبريالية، ولكنه على العكس ساعد بقوة على توسيعها. هل هذه الحجة تعني أننا يجب أن نكون أعداء لكل البلاد التي تعتبر ضحايا للإمبريالية أو التي تحولها الإمبريالية قاعدة ضد حرية الشعوب؟

إن الطريقة الوحيدة لمساعدة شعب إسرائيل للتخلص من الحكومات الحالية الشديدة الارتباط بالإمبريالية هو بالتحديد أن نبين له أن طريق السلام مفتوح وأن التعايش السلمي ممكن في الشرق الأوسط.

ولهذا يجب قبل كل شيء أن ندافع عن الضرورة المطلقة للتخلي عن الوسائل العنيفة لحل النزاع بين إسرائيل والبلاد العربية. وينتج من هذا المبدأ أن علينا أن ندين بشدة كل الاستفزازات العسكرية التي ستلجأ إليها بالتأكيد حكومات إسرائيل. أما من ناحيتنا فيجب أن نطالب بوقف إرسال الفدائيين إلى داخل الأراضي الإسرائيلية، ووقف إرسال المخربين والإرهابيين لأن أعمالهم ليس لها بالقطع أي فائدة إلا إثارة النزاعات الحالية ومساعدة حكومة بن جوريون على تحريض شعب إسرائيل أنه لا فائدة من انتظار السلام من البلدان العربية.

إن واجبنا هو الدفاع عن ضرورة السلام وسلام يستطيع أن يضمن المصالح الأساسية للشعب الفلسطيني على أساس قرارات هيئة الأمم المتحدة.

جـ) الدعاية الخارجية:

أنا لا أريد أن أحدد هنا واجب الدعاية داخل الحزب أو حتى داخل مصر. وبالمقابل أود أن أعبر عن بعض الملاحظات حول واجب الدعاية خارج مصر، وهو واجب ينتج من القضية السابقة.

إن الدعاية الإسرائيلية والصهيونية في العالم قائمة على تأكيد أن إسرائيل تبحث، وأنها وحدها تبحث عن السلام، وأن البلاد العربية هي التي تعارض السلام. وهذه الدعاية تلعب على المشاعر السائدة في الرأي العالم العالمي والتي تتطلب البحث عن حل لكل المنازعات بوسائل سلمية والتخلي عن أساليب العنف لحل المنازعات. ولهذا فإن هذه الدعاية تلقى نجاحا كبيرا. وكثير من الصحف حتى بين الأحزاب الشيوعية تردد عن وعي أو لا وعي قضايا الدعاية الصهيونية أو الإسرائيلية، مقتنعة أنها تدافع عن مصالح السلام في الشرق الأوسط والعالم.

وتساند الحكومة الإسرائيلية هذا الاتجاه بتكرارها في كل المناسبات أنها مستعدة للقيام بمفاوضات مباشرة مع البلاد العربية لتحديد شروط السلام بين إسرائيل وجيرانها.

وإن العدوان المسلح الأخير الذي قامت به إسرائيل بالاشتراك مع إنجلترا وفرنسا لم يكف لتدمير أسس هذه الدعاية. لقد نجحت إسرائيل بدرجة كبيرة في إقناع الرأي العالم العالمي أنها إذا كانت قد هاجمت مصر فذلك لأن الفدائيين قاموا دائما باعتداءات ضد أراضيها وأنهم مذنبون بالقيام باستفزازات مسلحة يشجعهم عدد كبير من القادة العرب. وفي أثناء مؤتمر أخير للأحزاب الاشتراكية، أدان هذا المؤتمر بشدة خيانة الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان يتحمل المسئولية عن حكومة فرنسا أثناء العدوان الإجرامي ضد مصر. ولكنه في نفس الوقت قدم تأييده إلى مندوب الماباي (الحزب الاشتراكي الإسرائيلي) الذي أدعى إن الحملة الإسرائيلية لم تكن إلا نتيجة لاعتداءات قامت بها مصر والبلاد العربية ضد إسرائيل وإن العمل الإسرائيلي يمكن اعتباره دفاعا عن النفس من جانب إسرائيل).

يجب أن نؤكد هنا على أن الدعاية العربية ضعيفة جدا، إذا لم نقل غير موجودة، وأنها غير قادرة على الرد على الدعاية الإسرائيلية أو الصهيونية. وهذا الضعف لم يأت مصادفة:

- فغالبية المسئولين عن الدعاية العربية ينتمون إلى الأوساط العربية الأكثر شوفينية. إنهم إقطاعيون قدامى مثل مفتي القدس السابق وغيره.

- تنحصر الدعاية العربية، في أوروبا على الأقل، تنحصر في إدانة بعض الاعتداءات التي تقوم بها إسرائيل ضد الأقلية العربية أو بعض العمليات الاستفزازية الإسرائيلية أو الصهيونية.

- الدعاية العربية لا تأخذ أي اعتبار للرغبة العميقة للرأي العام العالمي لإيجاد حل سلمي للمنازعات. وتتميز هذه الدعاية بشوفينيتها بل وفي كثير من الحالات بشعارات قريبة جدا من الشعارات الفاشية والمعادية للسامية.

- وفي مواجهة الدعاية الإسرائيلية بالدعوة إلى مفاوضات سلام مباشرة لا تقدم الدعاية العربية أي اقتراح محدد يستطيع بطريقة أو بأخرى أن يقدم الدليل على الرغبة الصادقة في التوصل إلى حل سلمي.

- وإن التصريحات النادرة لجمال عبد الناصر التي يمكن أن تثير الشك في بدء تطور من جانب الحكومة المصرية لم يكن لها أبدا طابع علني واضح وهي غير كافية على أي حال في إقناع الرأي العام. وعلى سبيل المثال فإن الحديث للمجلة غير المعروفة إطلاقا والمسماة "مجلة البوليس"، والأحاديث لبعض الجرائد المختارة لا تستطيع أن تغير التيار السائد حاليا وهو للأسف تيار من أجل الحرب.

وللنزاع العربى الإسرائيلي طابع دولي. وهذا الطابع ليس محسوسا دائما وبشكل كامل في مصر. والحقيقة مع ذلك هو أن هذه المشكلة لن تحل بحوارات بين البلاد العربية وإسرائيل، ومن المحتم أن تشترك فيها الدول العظمى. ولهذا من الضروري الاستناد على الرأي العام العالمى في البلاد الكبيرة واتخاذ مواقف تضع فى اعتبارها الرغبة العميقة للشعوب في تجنب الحرب والعمل من أجل السلام العادل والدائم.

د- الوضع الداخلي في إسرائيل:

أكد الزميل عزيز في تقريره ضرورة الاستناد على قوى السلام داخل إسرائيل نفسها. وذكر بين هذه القوى إلى جانب الحزب الشيوعي الإسرائيلى حزب المابام وحزب أحدوت أفودا. نريد هنا أن نؤكد أهمية هذه النقطة.

تحاول الدعاية الرجعية نشر فكرة أن الشعب الإسرائيلي هو كتلة متراصة خلف حكومة بن جوريون وأنه يساند سياسة هذه الحكومة المؤيدة للامبريالية. هذا خطأ. ربما كان الشعب الإسرائيلى من أكثر شعوب العالم ارتباطا بالسلام. كيف ننسى أن الحزب الشيوعى الإسرائيلية نظم بمفرده حملة من التوقيعات من أجل السلام بين إسرائيل والبلاد العربية إستطاع

خلالها أن يجمع ٥٠٠ ٠٠٠ توقيع، اي ثلث مجموع سكان إسرائيل. إذا قمنا بنفس الحملة في مصر فهذا يعني أن علينا أن نجمع ٧ مليون توقيع! .. (كان عدد سكان مصر وقتها ٢١ مليون / ملاحظة المحرر).

يجب هنا أن نذكر أن أنصار السلام في إسرائيل الشيوعيون وغير الشيوعيين كثيرا ما يشكون من أن عدم ثبات موقفهم يرجع إلى غياب حركة في البلاد العربية وفي مصر على وجه الخصوص تدعو بوضوح وصراحة للعمل من أجل السلام بين البلاد العربية وإسرائيل. ألم يجب نائب إسرائيلي يوما على سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي طالب في البرلمان من الحكومة الإسرائيلية بالعمل من أجل السلام "كيف نستطيع عقد سلام بينما لم يطالب أي من الشيوعيين مثلك في البلاد العربية بالشيء نفسه!" أليس ذلك مؤشرا على الاتجاهات العدوانية للبلاد العربية.

نستطيع دون خوف أن نقول أنه إذا كانت البلاد العربية قد اتخذت موقفا واضحا وحازما بخصوص السلام العادل والدائم بين إسرائيل والبلاد العربية، فإن المغامرة المسلحة الإسرائيلية كانت تصبح مستحيلة أو على أي حال أكثر صعوبة بكثير.

وفي الواقع أنه يجب أيضا أن نتذكر ضرورة كسر مناورات الدوائر الإمبريالية والأوساط العدوانية الصهيونية. إن السلبية الحالية واستمرارها سنة بعد أخرى تؤدي داخل إسرائيل إلى تقوية الجناح اليميني في كل الأحزاب الإسرائيلية. هؤلاء يطالبون بضم الأراضي المجاورة. وهم يستفيدون من الانقسام السائد بين البلاد العربية، وكذلك ضعفهم العسكري لتوسيع الأراضي الإسرائيلية. هذا الخطر حقيقي. وهذا التيار نجح تقريبا في تحقيق أهدافه عند انهيار المقاومة المصرية في شبه جزيرة سيناء. وكان لدى الحكومة الإسرائيلية وقتئذ النية الأكيدة للاحتفاظ بكل شبه جزيرة سيناء وطرد الجيش الأردني من كل الأردن. ولم يمكن هزيمة هذا التيار ولم يمكن تقوية الحركة الديمقراطية الإسرائيلية إلا عندما حاولت الدول العربية بحزم إيجاد حل سلمي وعادل للنزاع الحالي.

نريد إبداء بعض الملاحظات على قول الزميل عزيز أن إسرائيل أصبحت "أداة كاملة" بين أيدي الإمبريالية الأمريكية يجب أن نفهم هنا أن الحكومة الإسرائيلية تبرر في أعين شعبها ضرورة الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية وفي بعض الظروف على القوى العظمى الأخرى مثل فرنسا وإنجلترا بخيبة الأمل التي يشعر بها الإسرائيليون في جهودهم للتوصل إلى تسوية مع البلاد العربية المجاورة. إن الحصار الاقتصادي المفروض على إسرائيل من جانب البلدان العربية يجبرها على البحث عن أسواق وموارد لتموينها خارج الشرق الأوسط. وهذا يؤدي في الواقع إلى ربط الاقتصاد الإسرائيلي أكثر فأكثر باقتصاد القوى الكبرى الإمبريالية، وهو الأمر الذي يدعم الطبيعة الطفيلية لإسرائيل داخل الشرق الأوسط.

لا يجب أن ننسى مرة أخرى أن الغالبية التي يتمتع بها بن جوريون داخل البرلمان الإسرائيلي ليست إلا أغلبية ضعيفة جدا. ولهذا فإن التغيير الجذري لسياسة البلدان العربية وخصوصا مصر يمكن أن يؤدي إلى تغيير عميق داخل إسرائيل ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقات مع البلاد العربية وإنما أيضا في موقفها من السياسة الإمبريالية بشكل عام.

هـ- المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي:

من الهام للغاية أن ننشر على أوسع نطاق القرارات التي أتخذها المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي. فقد ألقى هذا المؤتمر الضوء على الجهود الكبيرة التي يبذلها هذا الحزب الشقيق في ظروف غاية في الصعوبة للنضال لصالح السلام والأممية البروليتارية والديمقراطية.

لقد حدد هذا المؤتمر بوضوح الأسس والمبادئ التي ينطلق منها للتوصل إلى حل سلمي للنزاع الحالي.

إن نشر والتعريف بقرارات وأعمال هذا المؤتمر يوجه ضربة شديدة لكل الرجعيين ولكل الشوفينيين الذي يدافعون في مصر وغيرها عن فكرة الحرب والذين يريدون استمرار السلبية الحالية مع كل نتائجها ومآسيها.

أيها الزملاء

إننا نعرف ونقدر تماما الصعوبات التي تواجهونها للخروج من السلبية الحالية، ونعرف ونقدر اتجاه الحركة الشيوعية منذ عدة سنوات لإيجاد حل لمشكلة العلاقات العربية الإسرائيلية. ولكن إلى أي شيء أدت السلبية والتنصل الحالي أمام المسئوليات والصعوبات؟: أوصلتنا إلى مآسي وطنية وإنسانية، وإلى الارتباك الإيديولوجي، وللدعوة داخل الحزب لأفكار غريبة عن الماركسية اللينينية مثل طرد كل الزملاء اليهود من الحزب! إن طريق تقدم وتطوير الحزب وتقوية قدرته على النضال كان دائما طريق النضال من أجل المصالح الحيوية لشعبنا، طريق الأممية البروليتارية، وليس طريق السلبية والذيلية خلف الدعاية الشوفينية الرجعية. ولا يفيد شيئا الشكوى من المآسي الإنسانية التي لم نردها ولكن يجب أن نتساءل إن كنا نفعل شيئا لوضع حد لها.

ليس لدينا شك في أن الشيوعيين المصريين الذين استلهموا منذ تأسيس حزبهم روح الأممية البروليتارية، والذين لم يترددوا في حمل السلاح في مواجهة الإمبرياليين، والذين لم يضعفوا رغم وضعهم في معسكرات الاعتقال في الصحراء ليس لدينا شك في أنهم سيخوضون هذه المعركة الجديدة وأنهم سيحرزون هنا أيضا انتصارات جديدة.

(١٩٥٧)

* * *

في باريس واصل هنري كورييل وأصدقاؤه نشاطهم فكونوا مع مجموعة من الديمقراطيين الإسرائيليين لجنة مصر- إسرائيل في باريس من أجل السلام. وكان هدف هذه اللجنة إصدار نشرة تلخص الأخبار التي تصل من البلاد العربية وإسرائيل.

كتب هنري كورييل مقدمة العدد الأول من النشرة

مقدمة النشرة

قبل أن أقوم بتقديم هذه النشرة بشكل مختصر لقرائنا يجب أن نقول لهم بعض الكلمات عن لجنتنا.

هي مكونة من ديموقراطيين إسرائيليين ومصريين يعيشون في باريس، ولكنهم حافظوا على علاقاتهم الوثيقة مع بلدانهم.

ورأوا أن عملهم المشترك يمكنهم أن يكون لهم فاعلية أكبر للوصول إلى الهدف الذي يرمون إليه وهو تحقيق السلام الدائم بين إسرائيل والبلاد العربية.

وتوجد لجنتنا منذ عدة شهور. وإن العمل الذي قامت به خلال الفترة الأولى من وجودها والتي استمرت حتى العمليات العسكرية الأخيرة سمح لها بجمع بعض الخبرة.

فقد نجحت أولا في تحديد المعطيات الحقيقية للمشكلة.

وبعد ذلك استطاعت أن تفهم من بين هذه المعطيات تلك التي يجهلها أكثر الرأي العام العالمي.

واستطاعت أن تحدد الشكل الذي يمكن أن تحقق به المفاوضات السلمية التي نأمل فيها.

واستطاعت أن تدرس بعض المشاريع لحل المشاكل المتوقفة.

ومن الناحية العملية استطاعت أن تطرح المشكلة أمام عدد من الشخصيات وإثارة اهتمامهم بمشاريعها.

وعندما اعتدت إسرائيل على مصر بدا أن الأمر يحتاج إلى مراجعة.

ولكن لجنتنا كانت مجمعة على إدانة الهجوم، وقررت ألا توقف عملها. واعتبرت في الواقع أن العمليات العسكرية ضد مصر أكدت أن خطر الحرب حقيقي وهو ينبع من النزاع العربي الإسرائيلي.

ولهذا قررنا مضاعفة جهودنا وتوسيع نشاطنا.

وتمثل النشرة التي نقدمها أحد أشكال نشاطنا الجديدة.

*

وإن أحد أهدافنا في نشرها هو التعريف بوجهة نظرنا لدى جمهور أوسع مما يمكن أن نتصل به فرديا. ونحن نأمل أن وجهات النظر هذه وهي لأشخاص تأثروا بشكل مباشر بالنزاع ويرغبون في التوصل إلى حل ستكون لها بعض الفائدة. نود أن نبين أن السلام الذي يضع في اعتباره المصالح المشروعة لكل الأطراف المعنية أمر ضروري وممكن ورأينا أن نطرح عددا من المعطيات التي تسمح بالخروج من مجال الأفكار وإيجاد حلول تتفق مع الحقائق المحددة.

نحن واعون تماما للصعوبات الهائلة التي علينا أن نتغلب عليها والحواجز المختلفة التي تقف في طريق إجراء مفاوضات سلمية: مصالح قوية ومتنوعة تعمل لاستمرار حالة التوتر التي يكسبون فيها، كراهية متراكمة من الشعوب بخطأ من الحكومات، عدم ثقة مخيفة بين أطراف النزاع الخ.

ونحن أيضا واعون بأننا لا نمثل إلا تيار مازال ضعيف جدا من الرأي العام في بلادنا. وقد نكون في الواقع الحالة الوحيدة التي يجتمع فيها مصريون وإسرائيليون ويناقشون مشاكل تفصل بين بلادهم.

ومع ذلك فإن أسباب آمالنا هامة.

وحقيقة أننا استطعنا أن نتعاون داخل لجنتنا هو مقدمة سعيدة لتعاون أوسع بين شعوبنا.ونحن مقتنعون أنها تتعطش للسلام،وعندما يتبينون سويا إمكانيات السلام العادل الذي يضع في اعتباره كل المصالح المشروعة، فإن قوى السلام ستنتصر على قوى الحرب من كل الأنواع.

ونعتبر أيضا أنه إذا كانت العمليات العسكرية الأخيرة قد زادت من حدة النزاع الذي يفصل الإسرائيليين عن العرب، فإنها على الأقل دعت شعوب العالم لأن تدرك الخطر المميت الذي يمثله النزاع. وبهذه المناسبة بينت قوى السلام في العالم أنها كانت الأكثر قوة وإذا وضعت أمامها بشكل حاسم مهمة التصفية النهائية للنزاع فإنها ستصل إلى ذلك دون أدنى شك.

وأملنا أن تستطيع النشرة، في حدود إمكانياتنا المتواضعة، أن تلعب دورا إيجابيا من هذه الناحية.

*

وتعمل لجنتنا على البحث عن نقاط الصلة دون أن تخفى الخلافات. ولهذا فإن المقالات في هذه النشرة لن تعبر بالضرورة عن الرأي الإجماعي لأعضائها.

ونريد أن نأمل أن بعض قرائنا سيساعدوننا. ونبدأ بأن نطلب إليهم بتوزيع هذه النشرة وبإعادة طبع كل العناصر التي يرون أنها تساعد الهدف الذي نرمي إليه وهو إقامة سلام دائم بين إسرائيل والبلاد العربية، يكفل تطور شعوب الشرق الأوسط ويضمن السلام في العالم.

***

"في أول يناير ١٩٥٩ شن جمال عبد الناصر حملة واسعة ضد الشيوعية واعتقل مئات من المناضلين وحكم على بعضهم بسنوات عديدة من السجن ولاقى الكثيرون منهم التعذيب والنفي في الصحراء.

وأصبح أغلب رفاق هنري كورييل في السجن. وأصبحت الصلات بين مجموعة باريس والشيوعيين المصريين ضعيفة.

حينئذ ركز هنري كورييل عمله الأساسي لمساعدة حركة التحرر الوطني الجزائرية مع الاحتفاظ بقدر الإمكان بعلاقات مع الرفاق المصريين. وعمله مع الجزائر كلفه في فرنسا السجن مدة سنتين ثم صدر عفو عنه.

وفي ١٩٦٥ يمكن القول أن الفترة (الجزائرية) لنشاط هنري كورييل السياسي انتهت. فكرس الجزء الأكبر من نشاطه السياسي لرابطة التضامن التي كانت تهدف لتقديم المساعدة للمناضلين في حركات التحرر الوطني في العالم الثالث وكذلك للمناضلين ضد الفاشية.

وفيما يلي رأيه الذي طرحه على رفاقه حول العلاقات التي يجب أن نقيمها للتضامن مع الفلسطينيين.

"كل مشروعنا يقوم على الاقتناع العميق بأن مصالح الشعوب لا يمكن أن تكون متعارضة، وهي في الجوهر واحدة.

وبالنسبة لمن قاموا من بيننا بمساعدة المقاومين الجزائريين، فإننا لم نفكر أبدا أننا نعمل ضد فرنسا، بل كنا على

العكس نرى أن هذا العمل يعبر عن وحدة مصالح الشعبين الجزائري والفرنسي في تصفية الاستعمار الفرنسي.

وبنفس هذه الروح نتوجه في النزاع العربي الإسرائيلي لصالح الشعبين الفلسطيني و الإسرائيلي وكذلك لصالح مجموع الشعوب العربية وبالدرجة الأولى أولئك المرتبطين مباشرة بالنزاع.

ويسير عملنا في الاتجاهات التالية:

١) العمل لصالح الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني الشرط الأساسي لأي سلام حقيقي.

٢) العمل من أجل التقارب بين التقدميين في الجانبين يهدف ربط نضال التقدميين من الجانبين ضد الرجعيين في المعسكرين المتحالفين مع الإمبرياليين وذلك بدلا من المواجهة القومية التي لا توصل إلى أي حل.

٣) عمل لا نذكره كثيرا ولكنه موجود من أجل المساواة في الحقوق للأقلية العربية في إسرائيل والأقليات اليهودية في البلاد العربية.

"ومنذ عام١٩٦٧ اتخذ رفاقه البرنامج التالي حول القضية الفلسطينية"

***

اعتبارات حول القضية الفلسطينية

إننا ننطلق من الحق المقدس والغير قابل للتقادم للجماعات القومية في الوجود القومي. ولهذا فإننا نعترف بحق إسرائيل في الوجود القومي، ولكن يجب في مقابله الاعتراف بنفس الحق لعرب فلسطين.

فهؤلاء يكونون جماعة قومية بالمعنى الكامل للكلمة. والقول بأنهم يجب أن يذوبوا في الدول العربية المجاورة يعني بالتحديد تصفية حقهم في الوجود القومي المستقل. فالعربي الفلسطيني ليس مصريا ولا أردنيا ولا سوريا ولا لبنانيا بقدر ما أن العربي المغربي ليس جزائريا ولا تونسيا ولا ليبيا.

ولهذا نحن نعترف لكل من العرب واليهود بالحق الشرعي في الوجود القومي. لكننا نقرر أنه في الواقع نجد أن وضع كل من هاتين الجماعتين متعارضين تماما: فبينما إحداها تتمتع بهذا الحق فإن الثانية محرومة منه.

وإذا قررنا أن منظمة "التضامن" يجب أن تساعد شعوب العالم الثالث المحرومة من حقوقها، فإن علينا أن نساعد الفلسطينيين العرب.

صحيح أن كل من المجموعتين تنكر حقوق المجموعة الأخرى الشرعية. ولكننا في هذه الحالة ننطلق من مبدأ أننا فقط بمساعدتنا أولئك الذي انتهكت حقوقهم بالفعل يمكن الحصول على الإعتراف بالحقوق الشرعية للطرف الأخر. وهكذا فإننا بدفاعنا عن حق الفلسطينيين العرب فإننا نكافح أولا من أجل قضية عادلة، ولكننا نخلق أيضا الظروف الملائمة لاعتراف العرب بالحقوق الشرعية لليهود الإسرائيليين.

فلا يمكن لأي مواجهة قومية فقط أن تؤدي إلى حل يضع في اعتباره الحقوق الشرعية لأطراف النزاع. وللتوصل إلى هذا الحل يجب إقامة تحالف بين قوى التقدم التي يجب أن تربط جهودها ضد القوى الرجعية في المجموعتين وحليفهم المشترك الإمبريالية الأمريكية.

ولهذا كان قرارنا بإقامة علاقات مع القوى الموجودة في إسرائيل والتي تعترف بحقوق الفلسطينيين العرب والتي تناضل للدفاع عن هذه الحقوق وهم في الوقت الحالي الحزبان الشيوعيان ومجموعة العمل السامية.

ومن ناحية أخرى نعتبر أن العلاقات التي نقيمها والتي نوطدها مع البلدان العربية التقدمية، سواء في مجال مساعدة حركات التحرر الوطني أو مجال المساعدة العملية التي نحاول تقديمها في المجالات الثقافية والاقتصادية والفنية،يمكن أن تؤدي إلي تفهم أكبر لهذا الهدف.

وللتحديد فإننا لا نقترح أي حل للمشكلة العربية الإسرائيلية فهذا الحل سيحدد في مرحلة تالية وستكون خصائصه الأساسية في الاعتراف الكامل بحقوق الفلسطينيين العرب. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى من حقيقة أن يحل البحث المشترك عن حل عادل تقدمه مجموع القوى التقدمية محل المواجهة القومية التي لن تؤدي إلى أي حل للمشكلة.

وفي ختام هذه الملاحظات يجب أن نؤكد أن كل محاولة للتنصل من مثل هذه المشكلة المعقدة والتي تقودنا إلي مساعدة كل شعوب العالم الثالث باستثناء الشعب العربي في فلسطين ستضر بشكل خطير بمجموع نشاطاتنا.

(يناير ١٩٦٧)

لم يقل استمرار هنري كورييل في الاهتمام بمصـر خصوصا بالحركة الشيوعية وبالتطورات الجديدة في المشكلة العربية الإسرائيلية.

في هذه الفترة أقام صلات وقدم مساعدة سياسية للمناضلين الفلسطينيين في "فتح" في محاولتهم تكوين منظمة وطنية فلسطينية مستقلة.

*

* *

تطورت العلاقات الدولية للشيوعيين المصرين. وتبع الموقف السياسي السائد داخل الحركة الشيوعية عمليا موقف البورجوازيات الوطنية العربية.

من جانب الحكومات الإسرائيلية ساد شعور بالرضا والشوفينية أكثر من أي اتجاه آخر.

وتطلب الأمر شجاعة أكبر ووضوح سياسي لمحاولة دفع جهود السلام.

طلبت مجموعة من الشيوعيين من هنري كورييل أن يحدد موقفه من النزاع العربي الإسرائيلي.

وفي هذا الجو يكتب لهم المذكرة التالية:

مذكرة للرفاق المصريين
حول ضرورة مواصلة النضال من أجل السلام

ملاحظات أولية:

لا يقصد بهذه الملاحظات تقديم توجيه للمناضلين في البلاد المعنية. فهو مكتوب في الخارج في جو أقل عاطفية من ذلك الموجود في الشرق الأوسط. مع مزيد من المعطيات بالنسبة لكل من الجانبين والتي لا توجد في الجانب الأخر. وهو يهدف إلى أن يقدم لعدد صغير من المناضلين المصريين (وبالدرجة الأولى للرفاق الشيوعيين المصريين، وينطلق أحيانا من وجهة نظرهم) عناصر التفكير التي نأمل أنها ستساعدهم في تحديد خطة للعمل.

يضاف إلي ذلك أنة يعالج المسألة انطلاقا من موقف "فوق الأحزاب" يتطلب من أولئك الذين يتوجه إليهم جهدا خاصا من الفهم المتسامح وجهدا أكبر لتوفيقها مع ظروف بلدهم.

ويجب أخيرا التأكيد بأن الطريق المقترح في هذا المخطوط ليس هو الوحيد الممكن ــ فقد توجد طرق أخرى تتبع ــ ولكنه الطريق الذي نأمل فيه أكثر من غيره. ولا نستطيع أن نؤكد أنه يجب التوصل إليه بالضرورة، ولكن يبدو أنه يجب محاولته.

*

نحن نقترح أن نبحث بطريقة مختصرة مشكلة الحرب و السلام في الشرق الأوسط.

يجب أن نقول أولا بوضوح أننا ننطلق مع الغالبية العظمى من القوى التقدمية والاشتراكية في العالم من الحقيقة الإسرائيلية باعتبارها شرعية، ويعتبر شيئا مسلما به أن اليهود في إسرائيل يكونون كيانا قوميا له مثل كل

المجموعات القومية الحق في تقرير مصيرها وتكوين دولة قومية. (يبقى ذلك صحيحا حتى إذا أعلنا أن إسرائيل هي واقع استعماري، لأن كثيرا من الدول القومية أصلها وقائع استعمارية، وقد تأكد ذلك بشكل خاص سواء في أفريقيا أو الشرق الأوسط). ونعتبر أيضا أن الجماهير اليهودية الإسرائيلية لها مثل كل شعوب العالم الحق في الأمن من ناحية وأن تتطلع إلى ذلك من ناحية أخرى.

ولهذا فلسنا مستعدين لبحث الحلول ليس فقط التي تقترح بإبادة اليهود الإسرائيليين ولكن حتى تلك التي تدعو إلى أن تفرض عليهم وضعا أيا كان لا يرغبون فيه.

وهذه الحلول ليست فقط غير معقولة، ولكنها أيضا خيالية. وإذا أدركنا النضال والعزم الذي يخوضه الفلسطينيون للاعتراف بحقوقهم القومية (سنعود إلي ذلك بالطبع) فمن السهل أن نتصور أن الإسرائيليين سيحاربون حتى النهاية وبنفس العزم، وبوسائل أكثر قوة بكثير للدفاع عن حقوقهم. وإننا نرتجف لفكرة الدم الذي يجب أن يراق لذلك.

ولهذا فإن أي سياسة واقعية وتقدمية لا يمكن أن يكون لها أي هدف إلا نهاية النزاع، وعلى أساس قرار مجلس الأمن بالتحديد وبشرط أن يعترف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني.

*

لنبحث الآن مواقف القوى الرجعية في الشرق الأوسط في مشكلة الحرب والسلام هذه.

هذه القوى يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

ـ القوى الإمبريالية.

ـ القوى الإسرائيلية العدوانية والتوسعية.

ـ القوى الرجعية العربية والتي تنقسم بدورها إلى نظم رجعية وقوى رجعية في البلدان العربية التقدمية.

وسنتعرض لكل من هذه المجموعات على التوالي.

أـ القوى الإمبريالية

المصلحة الواضحة لهذه القوى هو استمرار حالة الحرب لأسباب متعددة أهمها:

١) حالة الحرب هذه تعوق تطور وتنمية الدول العربية التقدمية بإجبارها على تخصيص جزء كبير من مواردها ومن قواها الحية للدفاع وإصلاح الأضرار التي سببتها الحرب.

٢) تعوق الحركة الوطنية العربية التي ترمي إلى استعادة الثروات البترولية العربية لصالح مواطنيها وهي ثروات بترولية تمثل في الوقت الحالي المصلحة الرئيسية للإمبرياليين في الشرق الأوسط (حتى قبل المصالح الاستراتيجية بل و السياسية).

٣) وهي تعوق أيضا المساندة التي يمكن أن تقدمها هذه الدول للمناطق العربية الخاضعة للامبريالية التي تكافح من أجل تحررها (أراضي الخليج العربي) أو للنظم التقدمية التي تناضل ضد التخريب. (جنوب اليمن مثلا).

٤) وهي بشكل أكثر عمومية تعوق انتشار إشعاع ونفوذ الدول العربية التقدمية ليس في الشرق الأوسط وحده وإنما في أفريقيا وفي باقي العالم.

٥) وهي تسهل استخدام الجيش الإسرائيلي كقوة ضغط وتدخل لصالح المصالح الإمبريالية في بعض بلدان الشرق الأوسط.

ب ـ المصالح الإسرائيلية الرجعية:

أ) أتى التيار التوسعي الإسرائيلي الأكثر عدوانية بممثلية (ديان وبيجين) إلى السلطة ووصل إلى إبقائهم بفضل حالة الحرب. ولعدم استطاعتهم تحقيق أهدافهم التوسعية (وهذا واضح تماما) إلا بالحرب، فإنهم يحاولون الإبقاء على حالة الحرب التي تسمح بشن غزوات عسكرية جديدة.

ب) ولكن مجموع الاتجاهات التوسعية الإسرائيلية هي التي تحاول تحت ستار الأمن الذي تتطلبه حالة الحرب بتحويل احتلال الأراضي العربية إلى ضم نهائي ويرون في استمرار حالة الحرب الشرط الأساسي لخلق "أمر واقع" جديد.

ج) إنهم في النهاية، كل القادة الإسرائيليين الصهيونيين الذين يستفيدون من حالة الحرب هذه للتأثير على كل يهود العالم ودفعهم إلى مساندة غير مشروطة للحكومة الإسرائيلية (رغم أن الكثيرين منهم لا يوافقون على سياسة هذه الحكومة). إنهم بذلك يحصلون على مساعدة مالية واقتصادية نستطيع أن نقول أنها تتناسب مع خطورة الوضع (ويدخل في ذلك شكل الهجرة المؤقتة والنهائية). وتنتج الظاهرة نفسها داخل قسم كبير من الرأى العالمي الذي يساند القادة الإسرائيليين لأن حالة الحرب تجعلهم يخشون احتمال إفناء اليهود الإسرائيليين أو تدمير دولة إسرائيل.

وأخيرا فإن حالة الحرب هي التي تسمح للقادة الإسرائيليين بالتهديد بالتدخل باسم الحفاظ على الوضع الحالي الذي لا يرمي بالطبع إلا إلى حماية النظم الرجعية، وإلى القيام بدور مساعد للمصالح الإمبريالية وبأن تقوم بذلك بمساندة هذه المصالح.

ج ـ القوى الرجعية العربية:

أ) إن النظم الرجعية والقوى الرجعية داخل الأنظمة التقدمية تأمل كليها في استمرار حالة الحرب لنفس الأسباب التي يريدها الإمبرياليون أي لأنهم يضعون عراقيل في طريق تطور النظم التقدمية وأعمالها واشعاعها.

ب) يضاف إلى ذلك أن حالة الحرب هذه تسهل عمل النظم الرجعية في البلاد التي أقاموها لسحق القوى التقدمية (ويعوقون بذلك تطور القوى الديموقراطية داخل الدول التقدمية).

ج) إنها تقوى إمكانيات التدخل السياسي بل والعسكري لهذه النظم ضد الدول التقدمية (في اليمن منذ زمن قصير، وفي جنوب اليمن في الوقت الحالي) وضد حركات تحرير الأراضي الخاضعة للسيادة الإمبريالية (أراضي الخليج العربي) التي يبتزون ثرواتها.

د) وفي الواقع أن كلا من القوى الرجعية داخل الدول التقدمية والنظم الرجعية تتمنى الحرب نفسها التي ينتظرون منها أن تقضي نهائيا على النظم التقدمية. فهي بالنسبة للأوائل نهاية التهديد المستمر لنظمهم وبالنسبة للآخرين الإمكانية الوحيدة بإعادة الاستيلاء على السلطة في البلدان التي عزلوا منها.

من الواضح أن طوق النجاة لمجموع هذه القوى يتكون من الجيش الإسرائيلي الأداة المباشرة لأهداف الاتجاه التوسعي الإسرائيلي. ينتج من هذا التحليل أن نهاية حالة الحرب يجب اعتبارها هزيمة كبيرة وحاسمة للقوى الرجعية في كل المنطقة، حتى ولو بدت تلك الهزيمة بعيدة ومن الصعب التوصل إليها وذلك بسبب التآمر القوي للغاية لقوى الحرب.

وينتج من ذلك أن هذه الهزيمة لا يمكن أن تعني إلا إحلال حالة سلام محل حالة الحرب، وأنها لا يمكن أن تكون إلا نتيجة لكفاح لإحلال السلام، وللنضال من أجل السلام.

*

ولكن الصعوبات لا تأتي للأسف فقط من قوة القوى الرجعية. إنها أيضا كمصدر للبس الموجود داخل القوى التقدمية نفسها. سنحاول أن نبدد بعض هذا اللبس والغيوم التي تحاول القوى الرجعية من ناحيتها الحفاظ عليها وتنميتها.

١ـ أول هذا اللبس ينحصر في تشبيه النضال من أجل السلام بالتخلي عن المقاومة المسلحة. يجب أن نؤكد أنه على العكس نطالب بمقاومة عربية أكثر حسما، لأنه إذا كان العدوان عملية رابحة فإن الاتجاه الذي يدافع عن الحرب سيقوى. ولا يمكن فتح طريق السلام إلا إذا أغلق طريق الحرب أي إذا لم يستطع أن يؤدي إلى ضمان أي ميزة لأولئك الذين يرون السير فيه، وإذا أصبح واضحا أنه لا يمكن أن يؤدي إلى حل النزاع وإنما إلى استمراره وإلى الطريق المسدود الذي لا يحقق الأمن وإنما عدم الأمن، وأنه لا يؤدي إلى مكاسب وإنما يؤدي إلى خسائر متزايدة.

٢ـ اللبس الثاني يشبه السلام بالهزيمة رغم أنه إذا كانت النتيجة التي توصلنا إليها صحيحة فإن نهاية حالة الحرب تمثل هزيمة كبيرة وحاسمة للقوى الرجعية وبالتالي فهي تمثل نصرا كبيرا وحاسما للقوى التقدمية. وهل يجب أن نسميه هزيمة أم انتصارا الحل الذي يتضمن الانسحاب من الأراضي المحتلة، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وإقامة دولة وطنية فلسطينية عربية، وانتهاء حرب مدمرة ودموية...؟ والأخوة التي تنشأ بين الشعوب.

ومع ذلك فهذا اللبس يجد أرضية ملائمة للغاية في الجانب العربي. وتجد قوتها في المهانة القومية للجماهير العربية المليئة بالمرارة بعد الهزيمة العسكرية والتي تجد الشعارات الانتقامية صدى كبير بداخلها.

ويكرر التوسعيون الإسرائيليون الذين يريدون الإبقاء على حالة الحرب محاولات الاستفادة من هذا الشعور بالمهانة القومية لتوسيع الهوة التي تفصل المعسكرين والحفاظ بذلك على حالة الحرب التي يعتبرونها ملائمة لمصالحهم وخططهم. وليس مدهشا أن اليساريين (المتطرفين) من كل الأصول يدعون أيضا إلى المواجهة العسكرية والحرب "حتى النصر" لحل النزاع. أولا لأن المتطرفين "اليساريين" يتحددون بالمغالاة فى المواقف، يضاف إلى ذلك أنهم ينتظرون أيضا من الحرب والتي لا يخافون فيها من هزيمة جديدة أن تؤدي إلى سقوط النظم التقدمية التي يعتبرونها "انتهازية" و"إصلاحية" لا

يمكن علاجها الخ. ومواقفهم بذلك تتفق مع الرجعيين المتطرفين وهذا يؤكد قاعدة عامة تقول بأن المواقف اليسارية (المتطرفة) تتحالف دائما في الواقع مع المواقف اليمينية. ورغم قلة عدد اليساريين "المتطرفين" فإنهم يمثلون عاملا لا يمكن إهماله بسبب مواقفهم الديماجوجية التي تجد بعض الصدى لدى الجماهير التي وصفنا مشاعرها فيما سبق.

ومن الجلي أنه بدون إزالة هذا اللبس فإننا لا نستطيع أن نتقدم دون عزل المتطرفين من كل جانب. يجب نزع القناع عن كل أولئك الذين يدعون أنهم في طليعة الوطنية العربية يدعونهم إلى الكفاح المسلح ضد كل حل سياسي، وإلى الحرب كالطريق الوحيد لحل النزاع وتدمير دولة إسرائيل. ويجب أن نتذكر هنا أنه في عام ١٩٤٨ كشف الشيوعيون المصريون فاروق وابن سعود وعبد الله والأخوان المسلمين وأشباههم الذين كانوا يزعمون أنهم يدافعون عن الأمة العربية رغم أنهم سببوا لها أكبر الأضرار. وكانوا يزعمون الدفاع عن عرب فلسطين رغم أنهم سببوا لهم معاناة رهيبة. يجب كشف النسخة الجديدة الحالية من فاروق والمخادعين الذين باسم الوطنية العربية لا يهدفون إلا إلى جر الشعوب العربية إلى مغامرات جديدة ستؤدي إلى تصفية الانتصارات التي تحققت في البلدان التقدمية. وإن كل هؤلاء المغامرين، بمن فيهم الأخوان المسلمين لم يتوقفوا ابدا عن أن يكونوا أداة القوى الأكثر رجعية، الأعداء الألداء للشعوب العربية.

وإن الشجاعة الحقيقية لا تكون بالصياح "اقتلوا" وإنما بالنضال للمصالح الحقيقية لشعوبهم.

بعد تبديد هذا الغموض يجب الاستمرار في تحليل مشاكل السلام. يجب أن نقول أولا أنه مستحيل في الظروف الحالية. للتوصل إليه يجب تغيير الظروف وللوصول إلى ذلك سريعا يجب أن يكون التغيير سريعا أيضا.

لنبحث المجالات الذي يمكن أن يتحقق فيها:

أ) في المجال الدولي، ما زالت الحكومة الإسرائيلية تتمتع بمساندة القوى الحاسمة ولن تكون بذلك مضطرة إلى التوقيع على سلام لا يكون تكريسا للهزيمة ولا يتجاهل مصالح الشعب العربي الفلسطيني ويوجه ضد أهدافه.

ب) مجال المنطقة، علاقات القوى العسكرية لا يسمح أيضا بإجبار الحكومة الإسرائيلية على قبول "تصفية أثار العدوان". وتوجد بكل الطرق قوى هامة في هذه المجالات وان نموها ممكن ويمكن أن يكون موضوعا لجهود مدعومة.

ومع ذلك فهناك مجال لم يتم فيه القيام بأي عمل وهو الحالة المعنوية للجماهير الإسرائيلية. فالأمور كلها تسير كما لو أن النشاط الإيجابي في هذا المجال لا يعتبر ممكنا، بل يعتبر معرضا للشبهة.

وهو أيضا مجال يقع الدور الأساسي للمبادرة فيه على المناضلين الأكثر وعيا والأكثر شجاعة. وهو كذلك مجال إذا أحسن العمل فيه يمكن أن يؤدي سريعا إلى التحول الجذري للظروف، وهو الهدف الذي نبحث عنه. وللأسف أن العمل لا يمكن أن يكون له ثقل كبير إذا كان على المناضلين أن يحاولوا تغيير علاقة الفوى العسكرية في المجال المحلى أو القوى السياسية في المجال الدولي. ولكنه على العكس يمكن أن يكون حاسما في تغيير الوضع داخل دولة إسرائيل نفسها.

ما هو هذا الوضع؟

في الوقت الحالي تقف الجماهير الإسرائيلية التي خدعها قادتها والتي تخاف من التصريحات الانتقامية التي تصعدها دائما الدعاية الرسمية، وقد أسكرها نجاح القوات المسلحة الإسرائيلية، تقف متحدة خلف حكومتها ومستعدة لكل التضحيات التي تفرضها عليها. وهي بأن السلام مستحيل وأنه لا يمكن ضمانه إلا بتوسيع الحدود والعدوان المتكرر الذي يهدف إلي "تدمير القدرة العسكرية العربية التي تهددهم" وبما أن هذه هي أفكار الجماهير الإسرائيلية، فان هذه الجماهير ستكون قوة هائلة لخدمة الاتجاهات التوسعية الصهيونية الإسرائيلية الأكثر عدوانية.

ولهذا هناك مصلحة أساسية في التوصل إلى تغيير هذه المفاهيم. يجب التوصل إلى أن تقتنع الجماهير الإسرائيلية أن السلام ممكن في ظل الأمن، وأن ذلك يمكن التوصل إليه لا بالضم وإنما بالجلاء من الأراضي المحتلة، وأن حل مشكلة اللاجئين وإقامة دولة فلسطينية عربية يصفي الإرهاب أكثر من كل الإجراءات الانتقامية المزعومة، وإن السلام في النهاية سيجلب لهم ميزات عظيمة: المرور فى المياه الدولية، وقبل كل شئ نهاية الجزع والتضحيات من كل الأنواع والدم المراق. وانطلاقا، كما كتبنا من قبل، من أن الجماهير الإسرائيلية تتطلع إلى السلام والأمن، فإنه يجب الاعتراف بأن الهدف المطروح يمكن تحقيقه، رغم أنه ليس من السهل تحقيقه، ولكن إذا كان ذلك ممكنا وعندما يتحقق فإننا سنتوصل إلى تحقيق هدف استراتيجي كبير. وسيعزل الاتجاه العدواني والتوسعي في إسرائيل، وبدلا من أن تتبع الجماهير الحكومة الإسرائيلية بشكل أعمى، فإن هذه الحكومة ستضطر على العكس تحت ضغط الجماهير إلى اتخاذ موقف معقول، وسنتوصل إلى إعادة ترتيب حقيقي للقوى، وبدلا من المجابهة الحالية بين المعسكر الإسرائيلي والمعسكر العربي سيكون لدينا القوى التقدمية العربية وقوى السلام الإسرائيلية في نفس المعسكر (ولا حاجة بنا إلى القول بأن هذا التجمع لابد وأن يؤدي إلى استخدام التناقضات التي يمكن أن توجد داخل القوى الرجعية).

يمكننا الخروج من المأزق الحالي:إما نزاع لا نهاية له الذي لن يفيد استمراره إلا معسكر الرجعية، أو نهاية النزاع بإدخال قوى السلام الإسرائيلية كعنصر أساسي للحل.

*

يجب إذن التحرك في اتجاه قوى السلام الإسرائيلية وتقويتها كي تستطيع أن تلعب الدور المتزايد والحاسم في النهاية. ولكن لتحديد العمل الذي يجب القيام به في هذا الاتجاه يجب محاولة فهم السبب في ضعفهم العددي الحالي ثم في تأثيرهم على الجماهير الإسرائيلية.

لاشك أن أساس هذا الضعف يرجع إلى انعزالهم عن التقدميين العرب، وهو انعزال يرجع لا إلى الظروف الموضوعية ولا إلى خطتهم وإنما إلى المقاطعة العربية. وهذه العزلة تجعل موقفهم لا يمكن الدفاع عنه أمام الجماهير الإسرائيلية. فإن واقعة مقاطعتهم حتى من جانب التقدميين العرب (الذين يتفقون معهم بدرجة كبيرة في مواقفهم) لا يمكن أن يعني إلا معنى واحد لدى الجماهير الإسرائيلية وهو أنه لا تبنى مواقف التقدميين العرب ولا النضال من أجل السلام يمكن أن يؤدي إلى التعايش طالما أن هذا التعايش لا وجود له بين قوى السلام والتقدميين العرب أنفسهم. وبذلك يرون الدليل الساطع بأن السلام مستحيل حقا وبدلا من اتباع الشخصيات التي تناضل من اجل السلام عليهم لتجنب الإبادة أن يقاتلوا تحت قيادة الجناح الأكثر حسما من قادتهم ـ دايان وبيجن ووايزمان الخ ـ القادرين وحدهم على أن يقدموا لهم ضمان الحياة "هزائم عسكرية للأعداء الألداء" "توسيع الحدود" "عمليات انتقامية" الخ.

وعلى العكس من ذلك فإن الاعتراف بقوى السلام الإسرائيلية ثم التعاون معها سيؤدي إلى نتائج مختلفة.

إن عددا متزايدا من اليهود الإسرائيلين[1] عندما يرون أن من يسيرون في طريق السلام معترف بهم كأصدقاء للتقدميين العرب فإنهم سيصلون إلى الاقتناع بأن السلام ليس مرغوبا فيه فحسب، بل ويمكن تحقيقه، وأن حالة الحرب الدائمة لن تؤدي إلا إلى تأخير ساعة التسوية.

وبذلك نطبق استراتيجية لها أهمية رئيسية: وهي تنحصر في حرمان الحكومة الإسرائيلية من التأييد الأعمى للجماهير وعزل أنصار السياسة التوسعية، ونضع في معسكر التسوية السياسية، أى في المعسكر الذي يجب أن يوجد فيه التقدميين المصريون، قوى هائلة يمكن أن يؤدي عملها إلى تغيير سريع لمعطيات النزاع.

---

١) سيكون ذلك أيضا هو حالة جزء كبير من اليهود في باقي العالم وكذلك مجموعة من الديمقراطيين المخلصين لم يدركوا المغزى الحقيقي لسياسة الحكومة الإسرائيلية.

يجب في الواقع التأكيد على أنه لكي يكون للتأثير أهمية ضرورية، لا يكفي الاعتراف بقوى السلام في إسرائيل، ولكن يجب مساندتها والدفاع عنها.

*

إن أولئك الذين يدافعون عن سياسة حرب الإبادة والهجوم العسكري ضد إسرائيل يرجعون كثيرا إلى نضال الشعب الفيتنامي. عليهم أن يدرسوا بشكل أكثر جدية هذا النضال – على أن نترك جانبا اختلاف الوضع – وأن يدركوا أن المقاومة المسلحة ضد العدوان الأمريكي لم يكن إلا جانبا من النضال. ودون أي أوهام حول النتائج المباشرة التي يمكن الحصول عليها من المفاوضات المباشرة في المرحلة الحالية فإن الممثلين الفيتناميين أتوا مع ذلك إلى باريس لتأكيد (وحتى بالنسبة لهم كان ذلك ضروريا) رغبتهم في السلام سواء بالنسبة للرأي العام العالمي أو الرأي العام الأمريكي. وكان للفيتناميين أيضا سياسة نشطة جدا للصداقة مع الشعب الأمريكي (رغم أنهم كانوا يعانون من العدوان الأكثر وحشيه الذي عرفه العالم) وأقاموا علاقات وثيقة جدا مع قوى السلام الأمريكية من كل نوع.

وبذلك فإن التجربة الفيتنامية تؤكد أن العمل في اتجاه قوى السلام في المعسكر المعادي ممكنة، دون أن يعني هذا العمل إضعاف المقاومة المسلحة أو الانهزامية. ولكننا لن نصل بسهولة إلى القيام بعمل في الاتجاه المهمل منذ عشرين عاما. ولهذا فإن التقدميين العرب الذين سيكافحون للاعتراف بقوى السلام الإسرائيلية والتحالف معها لا يجب أن يشعروا بالحرج أو الخجل لأنهم سيصبحون المدافعين الأوضح رؤية والأكثر شجاعة عن المصالح العربية الحقيقية. وبالتالي يجب النضال حتى لا تستمر العناصر العربية المعادية لقوى السلام العربية في الظهور كوطنيين غير متهاونين، بل على أنهم في حقيقة الأمر: الحلفاء الموضوعيين للقوى الرجعية العربية والإمبريالية وقبلهم القوى الرجعية الإسرائيلية.

لابد من شجاعة أكبر كثيرا من جانب قوى السلام الإسرائيلية الخاضعة لضغط مخيف لقومية هائجة، تسببها حالة الحرب المستمرة منذ أكثر من عشرين عاما، للقيام داخل إسرائيل بكفاح ضد عدو ذي قوة مخيفة أكثر من الديماجوجيين العرب عند قيامهم بدعايتهم المعادية.

وإذا تحدثنا عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي، فهناك مئات من أعضائه محددة إقامتهم أو معتقلين، وكثير من مناضليه اغتيلوا، بل وإن ماير فلنر سكرتيره العام قد عذب. ولنتذكر بهذه المناسبة المقاومين الشيوعيين الفرنسيين عندما كان الألمان يطلقون الرصاص عليهم يسقطون هاتفيين "عاش الحزب الشيوعي الألماني". ومع ذلك فإن وزن ونفوذ هذا الحزب أثناء الحرب ضد الفاشية أقل بكثير من وزن ونفوذ الحزب الشيوعي الإسرائيلي في النزاع الحالي. وفي أي لحظة لم ينحن الحزب أيديولوجيا.وكنا نود أن نقول ذلك عن شيوعي البلدان العربية. وأعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي ليسوا فقط مطاردين ولكنهم أيضا يتعرضون للسخرية. إن الرجعية الإسرائيلية تستغل حتى النهاية الواقع التالي: أنه رغم مواقفه التي تتفق في جوهرها مع مواقف مصر، ورغم تضحيات مناضليه، فإن الحزب الذي يناضل بطريقة مستمرة ضد العدوان المتكرر وضد التوسع وضد الصهيونية، والذي يدعو إلى الأخوة بين اليهود و العرب فإن التقدميين العرب يقاطعونهم، بينما هؤلاء لا يشعرون بالإهانة. إن الموقف البعثي مثلا يقول "إن التقدمي الإسرائيلي الوحيد هو من يغادر إسرائيل"، ألا يتفق هذا الموقف مع موقف الشقيري[٢] والذي يعرف الجميع الضرر الذي سببه للقضية العربية في العالم أجمع. وألا يتفق مع موقف ديان وموقف بيجين الذين يقولون أيضا للشيوعيين الإسرائيليين: "اذهبوا وانضموا إلى أصدقائكم العرب"؟

ولنلخص ما قلناه: إن هذا المخطوط يدعو للعمل من أجل الاعتراف وإقامة علاقات مع قوى السلام الإسرائيلية التي يجب أن يصحبها في نفس الوقت نضال متواصل ضد العناصر الرجعية والشوفينية.

---

(٢) الشقيري هو ممثل الفلسطينيين في مصر والمسئول عن راديو "صوت العرب". طرد من مصر بعد حرب ١٩٦٧.

هذا العمل يجب أن يكون بمبادرة الشيوعيين وبقيادتهم، وهم الذين يجب أن يجمعوا حولهم الحد الأقصى من القوى التقدمية في مصر أولا، وفي البلاد العربية الأخرى بعد ذلك. ويجب أن يتبعه نشاطات أخرى كثيرة، ولكن من الملائم البدء بذلك.

*

الوضع ملائم. وإن المقاومة العربية التي تزداد نشاطا تثبت أن الانتصار الإسرائيلي في يونيو١٩٦٧ لم يحسن بل زاد من خطورة الوضع العسكري، وأن الحدود "الآمنة" المزعومة هي الأقل أمانا لإسرائيل من أي حدود أخري كانت لديها. وقد أكد عمل المقاومين الفلسطينيين لدى قسم متزايد من الرأي العام الإسرَائيلي والعالمى حق الشعب الفلسطيني في الوجود القومي (وهو حق لم يكن من الممكن فرضه عن طريق الدول العربية الأخرى) ونتيجته الطبيعية بداية نفور من جانب اليهود الإسرائيليين، من اللجوء للقمع و الإرهاب.

وأخيرا فإن الموقف الجديد للحكومة المصرية وخصوصا قبولها لقرار مجلس الأمن كأساس لتسوية النزاع، يساهم في كشف الموقف المتشدد للقادة الإسرائيليين واتجاهاتهم التوسعية وإن سياستهم العدوانية تؤكد وتساهم في عزلتهم وجعلهم يفقدون جزءا يتزايد باستمرار من المساندة التي كانوا يتمتعون بها في العالم. وفي إسرائيل نفسها ولدى اليهود في العالم أجمع لم تعد المساندة غير المشروطة التي قدمت للقادة الإسرائيليين تعتبر الشكل الأرقى للوطنية، بقدر ما يدركون أن سياسة الحكومة الإسرائيلية تقود إلى طريق مسدود. إن أولوية السلام، ورفض الضم، وحق الفلسطينيين في الوجود القومي تصبح مطالب مقبولة من الإسرائيليين ومن اليهود في باقي العالم. وبعضهم يعلنون ذلك ويحاولون أن ينتظموا للدفاع عن هذه المطالب.

إن التحالف مع هذه القوى والنمو المتزايد الذي كان سيحدث لهم إذا اعترف بهم وساندهم التقدميون العرب كان سيعوض الضرر الذي يسببه بعض المتطرفين العرب.

قبل أن ننهي ملاحظاتنا نقول بعض الكلمات حول القضية الفلسطينية العربية. إن ما يعبر عن علاقة الشعب الفلسطيني بالأرض لا يمكن بحثه من جميع جوانبه في إطار هذه الدراسة القصيرة. وسنقتصر على بعض الأفكار الأساسية.

إذا تركنا جانبا عرب إسرائيل الذين لديهم مطالب خاصة لن نبحثها هنا، فإن الجماهير الفلسطينية العربية مكونة من جماعتين: سكان الأراضي المحتلة واللاجئين.

ولكل من هاتين المجموعتين مطالبها الخاصة.

ـ المجموعة الأولى تتطلع قبل كل شئ إلى الجلاء.

ـ المجموعة الثانية تتطلع إلى ممارسة حقها (الذي اعترفت به في واقع الأمر كل الأمم) في الخيار بين عودتهم أو الحصول على تعويض يسمح لهم بإقامة نهائية في البلد الذي يختارونه.

وهاتان المجموعتان لها هدف مشترك أساسي:

ـ دولة فلسطينية عربية.

هذه التطلعات وهذه المطالب هي هدف العمل البطولي لمنظمات المقاومة التي ظهرت من بين الجماهير الفلسطينية. وللوصول إلى ذلك يناضلون بمثل هذا العزم.

ولهذا فإن أي سلام لا يحقق هذه الأهداف سيقابل بمقاومة شديدة من جانب الجماهير الفلسطينية العربية.

ولهذا أيضا فإن السلام الذي يعطيهم ما يطالبون به سيحصل على مساندتهم الحماسية.

ومن الواضح أن هذه الأهداف لا تتفق بالضرورة مع تلك المطالب التي حددها بعض قادة هذه المنظمة أو تلك من المقاومة الفلسطينية. فكثير

منهم لا يهدفون إلى تحقيق مطالب شعبهم بقدر طرحهم لـــهدف أن الطليعـــة تتكون من الكفاح المسلح لمنظمات المقاومة الفلسطينية. وهذه الثورة لا تطول الأنظمة الرجعية، وإنما مجموع النظم العربية. ويعلنون أن ضرورتها هـــذه أثبتتها هزيمة يونيو ١٩٦٧.

ويضاف إلى ذلك أن كثيرين من هؤلاء القادة كانوا يكونون أو مازالوا يكونون جزءا من التكوينات السياسية القومية العربية التي لا علاقة لأهدافــها مع أهداف الشعب الفلسطيني، ولكن هذه الأحزاب تساندهم في بلادها.

وإن الكفاح المسلح يعطيهم هيمنة متزايدة على جماهير شعبهم وكذلـك نفوذا كبيرا متزايدا في العالم العربي بأسرة وأيضا في المجال الدولي. وهــذا الدور البارز بعضهم قد يخشى أن ينقص بقوة إذا اصبحوا قادة للدولة العربية الرابعة عشر الصغيرة والفقيرة والتي ستواجهها مهام عسيرة بلا غار مـــن العمل الشاق للبناء القومي.

وإن نهاية الكفاح المسلح سيقلل نفوذهم وبعضهم سيحاولون النضال مع كل المكانة التي حصلت عليها مقاومة الشعب الفلسطيني لمنع تحـــول حالـــة الحرب إلى حالة سلام. وسيكون من الصعب مجابهة تيار توجهاتهم، ولكـــن هذه التوجهات لا يجب أن تفضل على المصالح الأساســية للقــوى والــدول العربية التقدمية. وهناك في الواقع كل الأسس للتنبؤ أنه ما أن تتحقق مطـالب الشعب الفلسطيني فإن هؤلاء القادة الذين سيعارضون ذلك سيفقدون ســـريعا نفوذهم.

(يوليو ١٩٦٩)

بعد وفاة جمال عبد الناصر في سـبتمبر ١٩٧٠ أصبح أنور السادات رئيسا للدولة. ويبدو أن الحكومـة الجديدة بدأت في إعادة دراسة العلاقـات بيـن مصـر وإسرائيل والقضية الفلسطينية في مجملها.

ويجب في الواقع استخلاص الدروس من الكارثـة العسكرية عام ١٩٦٧ وتحديد الطريـق الـذي يجـب إتباعه.

ويذكر هنري كورييل في الدراسة التالية الموجهة إلى رفاقه الأسس التي تنطلق منها كل تحليلاته.

بعد جمال عبد الناصر
أفكار حول تسوية سلمية للنزاع العربي الإسرائيلي

تهدف المذكرة الحالية إلى عرض الأسس التي ينطلق منها تحليلنا. ودون الاتفاق حول هذا الموقف من القضايا الإسرائيلية يمكن لدراساتنا أن يساء تفسيرها.

ويجدر بنا أن نؤكد أن هذه الأسس وضعت استنادا إلى دراسات معمقة للغاية أجريت بشكل مستمر وبإصرار منذ أكثر من عشرين سنة.

نبدأ بتحديد جانب معروف معرفة ضئيلة جدا من الواقع الإسرائيلي ولكنه يحدد كل الجوانب الأخرى وهو أساسي.

ينظر إلى الشعب الإسرائيلي دائما باعتباره كل واحد من حيث التطلعات والأهداف. وهذه نظرة خاطئة للغاية فداخل الشعب الإسرائيلي يوجد عنصران تختلف بل وتتعارض أهدافهما وتطلعاتهما.

العنصر الأول يتكون من الصهيونية الحقيقية أي أولئك الذين ذهبوا إلى إسرائيل بهدف وحيد هو بناء دولة يهودية هناك. وهؤلاء يهدفون إلى أن تكون هذه الدولة شديدة الاتساع بقدر الإمكان وتشمل أولئك الذين نسميهم التوسعيين العدوانيين الخ. وهم يمثلون في إسرائيل أقلية ضئيلة.

والعنصر الثاني والذي يكون غالبية السكان اليهود في إسرائيل يتكون من اليهود الذين أقاموا هناك بسبب أنه ليس لهم مكان أخر يذهبون إليه: وهم أولا يهود ضحايا للاضطهادات المعادية للسامية في أوروبا، ثم يهود البلدان العربية. هؤلاء يتطلعون إلى السلام والأمن وجاءوا للبحث عنه.

وإذا كان الأولون يكونون الأقلية والآخرون الغالبية فكيف حدث أن النفوذ الصهيوني كان غالبا بهذا الشكل؟ هذا يرجع إلى أن الصهاينة يشغلون أماكن القيادة. إنهم في الواقع أولئك الذين جاءوا إلى إسرائيل بهدف بناء دولة واصبحوا القادة بالطبع. أما الآخرون فهم الكادحون والكادر والذين يمارسون مهنا حرة الخ. لقد قبلوا نفوذ الأقلية الصهيونية بالقدر الذي شعروا فيه منذ بداية وجودهم بتهديد جيرانهم العرب. وهذا التهديد هو الذي يكون أداة سيطرة الصهيونية على مجموع السكان.

وكل استراتيجية سياسية موجهة للجماهير الإسرائيلية يجب أن تقوم على هذا الواقع الأساسي. يجب ويمكن فصل الجماهير الإسرائيلية عن قادتهم الحاليين.

*

وقد بدأ الوضع في الواقع في التغيير في ارتباط بتغيير موقف مصر. ولمدة سنوات طويلة يمكن اعتبار هذا الموقف "سلبيا"، أي أنه كان يرفض وجود إسرائيل، وحقوق السكان اليهود، وإمكانية التعامل مع الدولة الإسرائيلية، ورفض أي صلة مع التابعين لها، سواء كانوا معارضين صريحين لسياسة الحكومة أو مدافعين عن المواقف العربية، وقد توجت هذه الفترة "بلاءات" الخرطوم.[1]

وفي رأي جميع المراقبين أيا كان معسكرهم ومهما كانت آراءهم فإن هذه المواقف لعبت دورا لصالح الصهيونية في إسرائيل وضد مصالح العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص.

تبع هذه الفترة سياسة جديدة يمكن أن نسميها "إيجابية" بدأت في عصر الرئيس جمال عبد الناصر وانتهت بتصريح الرئيس السادات مؤكدا أنه علـ استعداد لإبرام السلام مع إسرائيل.

---

(١) اجتماع البلدان العربية بعد ١٩٦٧ التي رفض تماما الاعتراف بإسرائيل.

ومن الصعب التحقق من تأثير هذه السياسة الجديدة على الوضع في إسرائيل نفسها. إن المجتمع الإسرائيلي "المتجمد" في مواجهة التشدد العربي، والتي كانت التناقضات داخله قد وصلت إلي حدها الأدنى، هذا المجتمع المتراص حقا بدأ في التغيير.

لقد أدت السياسة الجديدة إلى فك الحصار عن المجتمع الإسرائيلي، وأدت إلى تطور تناقضاته الداخلية، وخلقت بذلك الإمكانية لمصر لممارسة سياسة إسرائيلية فعالة مستندة على الاستفادة من هذه التناقضات.

سنمر سريعا على عناصر بداية التغيير مع كشف عدم التناسق بين الخطوات "المترددة" من الجانب المصري بالمقارنة مع اتساع النتائج التي تم الحصول عليها مما يبين أن مواصلة السياسة "الإيجابية" هي الطريق الوحيد الذي يسمح بالتوصل إلى تغيير الوضع في إسرائيل نفسها والتوصل بذلك لحل سياسي للنزاع.

*

التغيرات في الواقع منذ وقف إطلاق النار وأيضا منذ ما يسمى "قضية جولد مان":

ـ لنذكر أولا أن "التحالف الوطني" تحطم مع اليمين: وأن اليمين المتطرف، حزب جاهال، لم يعد منذ الآن جزءا من الحكومة، ولا يجب التقليل من قيمة أن هذا الحزب دخل الحكومة في نهاية مايو١٩٦٧ للقيام بالحرب (وكان دخول جاهال إلى الحكومة علامة على أن الحرب وشيكة الوقوع من جانب إسرائيل)

إن العمال المكبلين بالضرائب، والذين قبلوا بالاستسلام لكل التضحيات طالما كانوا يرون ذلك ضروريا لبقائهم، بدأوا العراك وسادت موجه من المطالب والإضرابات التي لم تعرفها إسرائيل منذ قيامها، ومستمرة في

الاتساع والنمو. وكل حالة للتوتر الخارجي ستحطم هذه الموجة (ولهذا تبـذل الحكومة الإسرائيلية الجهد الكبير لخلق هذا التوتر).

وهناك أيضا نضال متزايد في مجال الديمقراطية: ولم يحدث أبـدا أن المعارك من أجل المساواة في الحقوق بين العـرب واليـهود كـانت بـهذا الاحتدام. ولنتحدث عن المعارك في هذا المجال: موجـة الاحتجـاج التـي ارتفعت بمناسبة سياسة الإرهاب في غزة (وخصوصا المظاهرة الكبيرة التي نظمتها الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان، رسائل الاستنكار من الجنود إلى جولدا مايير حول الموضوع الخ)، وكذلك كل الأعمال من أجل الدفاع عـن حقوق العرب في الأراضي المحتلة. وبدأ ينمو في نفس الوقت نضال يثـير الذعر لدى القادة: حملة اليهود الشرقيين من أجل المساواة في الحقـوق مـع اليهود الغربيين (حركة الفهود السود). من الواضح أن المناضلين يتحققـون من أن حالة الانفراج تسمح لهم بالنضال بفاعلية وأن الحكومة مـن ناحيـة أخرى تعول على "الوحدة الوطنية في مواجهة الخطر العربي" لتصفية هـذه المنازعات.

يجب أن نذكر أيضا مجالا جديدا حدث فيه صدام حاد: وهو أن أنصار العلمانية يناضلون ضد النواحي الشديدة التخلـف مـن السياسـة "الدينيـة" للحكومة. ولا يجب أن نغفل أن الدين في إسرائيل يكون أحد الجذور العميقـة للصهيونية (لنتذكر الشعار الشهير "العام القادم في القدس").

يجب أيضا أن نذكر تطـور المنازعـات داخـل الحكومـة نفسـها والمجموعة القائدة: النزاع بين أحزاب المابـام والمابـاي، بيـن الأحـزاب العلمانية والأحزاب الدينية، والنزاع بين الشخصيات: بيـن جولـدا مـايير وموشي دايان، وبين إيجال ألون وبحماس سابير الخ.

يضاف إلى ذلك أن تفكك التعبئة الجماهيرية الذي تبع انخفاض التوتـر الخارجي قد أدى أكثر فأكثر أن يجعل من دولة إسرائيل "دولة مثل غيرهـا"، مع التطور السريع للجريمة، والاستخدام المتزايد للمخدرات، وبداية الفساد.

ولنذكر أيضا أن السياسة "الإيجابية" مع أضعافها بطريقة حاسمة لمكانة إسرائيل في المجال الدولي (وهو جانب لا نتعرض له)، كان له على العكس بعض الأثر على العناصر السليمة داخل إسرائيل نفسها، والقلقة من هذا التردي.

وفي الختام يجب أن نذكر تزايد عدد بل ويمكن أن نقول أيضا مكانة القوى التي تكافح بشكل مثابر ضد التوسع ومع السلام.

وسنقوم في التحقيق القادم بتقديم تقييم دقيق لقوى السلام في إسرائيل، ولكنه من الخطر الجاد أن نعاملها باحتقار وأن نقلل من قيمتها. إنها تشكل بذرة لتغيير إسرائيل إلى دولة مسالمة. ويعترف بهم أكثر فأكثر في المجال الدولي: وإن زيارة وفد ممثل لهذه القوى إلى الاتحاد السوفييتي هو دليل على ذلك بالإضافة إلى المبادرات التي لا تنقطع في الولايات المتحدة من شخصيات ذات آراء معارضة للمجموعة الإسرائيلية الحاكمة.

وإلى جانب الشخصيات التي يتزايد عددها، يمثل أنصار السلام في إسرائيل مجموعات منظمة نذكرها بشكل سريع:

الحزب الشيوعي (ركاح) التي كانت مواقفه معزولة لمدة طويلة والذي يجد صدى متزايدا لا بين العرب وحدهم وإنما بين اليهود أيضا. وهناك انقسام داخل الحزب الشيوعي (ماكي) مع تقوية الاتجاه المعادي لسياسة م.سنيه المؤيدة للحكومة.

مجموعة "القوى الجديدة" لا تضم إلا نائبين في الكنيست: أوري أفنيري وشالوم كوهين، ولكن نشاطهم البرلماني له صدى كبير. (سنتحدث عنهم في مذكرة تالية).

"اليسار الجديد" انقسم من المابام عندما اشترك هذا الأخير في حكومة "التحالف الوطني" مع اليمين المتطرف، له نفوذ كبير في الكيبوتزات المستتبت التقليدي للصهيونية، والذي يبدأ في أن تكوين مواطن هامة لمعارضة سياسة الحكومة.

"حركة السلام والأمن" وهي مجموعة مكونة أساسا من مثقفين لامعين وذوى نفوذ في إسرائيل نفسها وكذلك في المجال الدولي. وهناك جانب درامي من تأثير قوى السلام في إسرائيل هو بداية حركة بين الشباب ضد الحرب (أنظر البيان الصادر من أربعة شبان إسرائيليين: ثلاثة أولاد وفتاة، كتبوا إلى ديان خطابا يخبرونه فيه برفضهم الخدمة في الجيش "الشباب يقتلون اليوم من أجل أهداف سياسة محلية أكثر منها من أجل أفكار نبيلة"، وصدى هذه العملية في البلاد.

كل هذه القوى نمت في ارتباط مع سياسة مصر "الإيجابية" (اتخاذ مواقف بشكل حاسم، والصلات المباشرة مع بعض ممثلي هذه القوى). وستستمر في النمو بقدر الاستمرار في مواصلة هذه السياسة.

وإن الإعلان عن مؤتمر فلورنس[٢] مع احتمال اشتراك الإسرائيليين الذين لديهم موقف مبدئي حول المشكلة وعمل حاسم للتطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن، أعطى هذه القوى مكانة جديدة وكبيرة. ويجب أن نعتبر أمرا هاما حقيقة أنه لأول مرة في تاريخ اليسار الإسرائيلي المفكك تكونت لجنة موحدة تضم مجموع هذه القوى.

*

نريد الآن تقديم بعض الأفكار حول ما يجب أن يكون عليه جوهر تسوية النزاع. ويبدو لنا أن هناك مادة لسوء فهم خطير يهدد بجعل أي تسوية مستحيلة.

عندما نتحدث عن السلام وعن "الحل السياسي للأزمة" هناك رؤية مختلفة في مصر وفي إسرائيل (صادرة في هذا البلد من أولئك الذين يدعون لهذا الحل). ففي مصر يعتبرون أن كل شئ سيسوي بإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل ٥ يونيو ١٩٦٧. يجب أن نفهم أن الجانب الإسرائيلي لا يمكن

مؤتمر دولي للسلام عقد في فلورنسا تحت رعاية العمدة المسيحي الديمقراطي لابيرا.

أن يقبل ذلك. من الضروري أن ندرك أن الجماهير الإسرائيلية عاشت وسواس الإبادة وهو وسواس لم تتوقف الدعاية العربية المحمومة عن ممارستها وأكدتها كثيرا ببعض تصريحات القادة العرب. ويجب أيضا أن يكون مفهوما لدينا أنه إذا كانت البلاد العربية تعتبر أحداث يونيو ١٩٦٧ "عدوانا إسرائيليا" فإن الرأي العام الإسرائيلي كله (باستثناء الحزب الشيوعي "ركاح") يعتبرونها حربا دفاعية ضد عدوان عربى جرى إعداده. قد لا نتذكر ذلك في مصر، ولكنهم فى إسرائيل لا ينسون تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر في القيادة العامة المتقدمة للطيران في ٢٥ مايو ١٩٦٧. "إن قواتنا الآن موجودة في سينا وهي معبأة بشكل كامل سواء في غزة أو سينا .. إن قواتنا المسلحة مستعدة للحرب.. وقد تكون الحرب فرصة لليهود، لإسرائيل ولرابين لاختبار قواتهم ضد قواتنا وليروا أن كل ما كتبوه عن معركة ١٩٥٦ كان كلاما فارغا .." وكذلك خطابه للنقابيين العرب في ٢٦ مايو ".. منذ وقت قريب شعرنا بأننا أقوياء بما فيه الكفاية للدخول في معركة مع إسرائيل.." (ولنلاحظ في هذا الخطاب التعداد المؤثر لمجموع قوى البلدان العربية) .. كل القوات المسلحة مستعدة لمعركة وجها لوجه بين العرب لإسرائيل .." (وكذلك المقالة ذات الصدى الواسع لمحمد حسنين هيكل في الأهرام يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ بعنوان ذي دلالة "الصدام المسلح مع إسرائيل حتمي لماذا"؟.. وأخيرا نذكر الخطاب الذي ألقى فى مجلس النواب في ٢٩ مايو:"تمت الاستعدادات. نحن الآن مستعدون لمواجهة إسرائيل .. الموضوع الآن .. هو *العدوان الذي حدث في فلسطين ١٩٤٨* (الخط من عندنا) الإشارة إلى ١٩٤٨ لم يكن من الممكن اعتباره في إسرائيل إلا التشكيك في وجود إسرائيل نفسها.

ونعتذر عن هذه الإستشهادات: فرغم قصرها إلا أنها تسمح بتبيين أثرها في روح الجماهير الإسرائيلية. فهي قد اعتبرت أن الحرب لم تكن عدوانا من إسرائيل وإنما نضالا من أجل حياة بلادهم.

هل يمكننا بشكل معقول أن نطلب منهم العودة إلى هذا الوضع؟ وضع يخاطرون فيه بأن يصبحوا مهددين بالفناء. وضع عليهم أن يتخلوا فيه عن ثمار تضحياتهم الكبيرة دون أي مقابل؟ لا يجب أن نخدع أنفسنا.

فالجماهير الإسرائيلية لن تترك الأراضي المحتلة إلا مقابل سلام حقيقي وأمن حقيقي. كما أن تخطيط الحدود بين فرنسا وبلجيكا مثلا هو تحدي حقيقي للإدراك السليم فهو ليس مبنيا على أي حال على "الأمن" لأن أي نزاع بين البلدين لا يمكن التفكير فيه. وأيضا فإن الجماهير الإسرائيلية ستتخلى عن فكرة "حدود آمنة" بقدر ما تصبح فيه هذه الحدود غير ضرورية بفضل حالة السلام الحقيقية مع جيرانهم العرب. وحينئذ فقط ستتحرك الجماهير الإسرائيلية وتفرض على حكومتها "طريقا آخر" (ونعرف أن شعار الحكومة الإسرائيلية هو Ein breira أي لا طريق آخر!).

لا يمكن بحث أي طريق آخر إلا فى ارتباط بالحرب مع الشعب الإسرائيلي.

*

يجب أن يكون واضحا أننا لا نجعل من قبول اقتراحاتنا شرطا للتعاون. فهي تقوم على مبدأ: الحق المطلق لمصر والبلاد العربية الأخرى في تكامل أراضيها، وكذلك الحقوق القومية غير القابلة للتقادم للفلسطينيين العرب.

(١٩٧١)

منذ عام ١٩٧٠ حاولت الدعاية العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص محاولة البحث عن سند في الرأي العام العالمي لتأييد الحل "العربي" للمشكلة الفلسطينية. عقد العديد من المؤتمرات الدولية في عديد من مدن الشرق الأوسط وفي القاهرة نذكر منها "مؤتمر مساندة الشعوب العربية" الذي عقد مرتان في القاهرة في عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩.

ولم يتفق هنري كورييل مع هذا التوجه فلم يكن الرأي العام العالمي مستعدا لمساعدة حل "عربي" بحت. فالدعاية الإسرائيلية رغم فاعليتها لم تنجح في إقناع هذا الرأي العام بعدالة حل "إسرائيلي" بحت واضح الظلم للشعب الفلسطيني. وحينئذ قدمت فكرة حل يقوم على السلام والعدل لكل الأطراف المعنية. ولكي تقدم هذه المبادرة أكبر النتائج، يجب دعوة مؤتمر دولي تحت رعاية شخصيات محترمة. وهؤلاء سيؤيدون بالدرجة الأولى صلات بين شخصيات عربية وإسرائيلية لا تستطيع في الجو السياسي السائد في ذلك الوقت أن تلتقي مباشرة.

ومن الصعب اليوم أن نتصور مدى الضرر الذي سببته الحرب المأساوية عام ١٩٦٧ للصلات الواهية التي وجدت بين الديمقراطيين العرب والإسرائيليين. وكان من الضروري إعادة هذه الصلات. وفي الواقع كيف نتصور القيام بعملية سلام بينما لا يستطيع أنصار السلام في إسرائيل وفي البلاد العربية اللقاء دون أن يخاطروا باتهامهم بالخيانة في بلادهم؟

إن الرعاية الدولية ذات أكبر وزن ممكن هي وحدها التي تستطيع علاج هذا الوضع. وبعد محاولة فاشلة لإثارة إهتمام الحكومة الفرنسية (في ظل رئاسة جورج بومبيدو) لعقد هذا المؤتمر في فرنسا، وافق الشيوعيون الإيطاليون أن يتحملوا المسئولية لتنظيم هذا المؤتمر بمساندة مجلس السلام العالمي.

عقدت اجتماعات تحضيرية للمؤتمر في إيطاليا ظهرت خلالها كل أنواع الصعوبات بسبب تعقد المشكلة المطروحة.

ضاعف هنري كورييل وأصدقاؤه جهودهم وتدخلاتهم للاسراع بالتحضير لهذا المؤتمر.

كتب هنري كورييل الملاحظات التالية للتأكيد مرة أخرى على ضرورة عقد مثل هذا المؤتمر.

بعض خصائص مؤتمر بولونيا

أ – ولد بعد مبادرة وافق عليها على الفور أنور السادات وقد أشارت منذ إعلان الفكرة الاهتمام الكبير في الأوساط المختلفة: بدءا من الحكومات الغربية (ونذكر بعض من عرفنا رد فعلهم:

فرنسا وإيطاليا وأحزاب اليسار والجماعات ذات النفوذ الأدبي و(International fellowship of reconciliation) I.F O.R و C.I.M.A.D.E. وغيرها.

ب – لم يكن الإعداد للمؤتمر قد انتهى بعد، ولكن ظهرت نتائج هامة :

ــ لقد جمع بالفعل في عدد من البلاد الغربية (فرنسا وإيطاليا. وبريطانيا) أوسع موجه من التأييد لم تحدث لأي مؤتمر سياسي. وهذا له دلالته لأن المسألة التي ستبحث فيه هي أكثر المسائل المثيرة للاختلاف في العالم حاليا.

وهذه القوى هي باختصار:

ــ في إيطاليا: (البلد المنظم للمؤتمر)، كل الأحزاب السياسية: من شيوعيين إلى ديمقراطيين مسيحيين مارين بالحزب P.S.U.P والحزب الاشتراكي.

ــ في بريطانيا: حول النواب العمال الذين يكونون نواة الوفد تجمع ممثلون من اليسار المتطرف وكذلك جماعات دينية.

ــ في فرنسا : شخصيات أدبية ومثقفة تضم ممثلين عن مجموع تيارات الفكر السياسي الفلسفي والديني.

وجمعت في كثير من البلاد الأخرى عددا متزايدا من الشخصيات:

ـ في الولايات المتحدة: كانت مناسبة لأول معرفة بحقائق المشكلات بين القوى الليبرالية الموالية تقليديا لإسرائيل دون تحفظ.

ـ في إسرائيل: كان الإعلان وحده سببا في الانتقال إلى مرحلة جديدة لتطور القوى الإسرائيلية المعادية للتوسع. لماذا؟ لأنها تمثل رمزا محددا للسياسة المصرية لحل المشكلة قائم على السلام والأمن للجميع.

جـ) ويساهم المؤتمر منذ الآن في كسب تعاطف عدد من الشخصيات والجماعات والأحزاب السياسية مع مصر. ولا يتعلق الأمر فقط بتحديد شروط التسوية السياسية للنزاع ولكن من حقيقة أن مصر مستعدة للتصرف بشكل ملموس لكي تصبح هذه التسوية ممكنة في الواقع.

*

ويجب أن ندرك أنها المرة الأولى التي يعقد فيها في أوروبا الغربية مؤتمر دولي مؤيد للأطروحات المصرية (كانت هذه المؤتمرات مقتصرة حتى الآن على الاجتماعات المؤيدة لأطروحات الحكومة الإسرائيلية). وهي مرحلة هامة جدا بحيث أننا فكرنا في البداية بأنه لا يمكن عقده إلا في بولونيا حيث غالبية السكان شيوعية. ومع ذلك فإن النجاح الذي قابلناه أثناء إعداد المؤتمر كان كبيرا بحيث أننا قررنا أن يعقد في مدينة فلورنسا ذات المكانة.

لقد أثار الكونغرنس إذن منذ الإعلان عنه اهتماما كبيرا. ولكن عطله بعد ذلك عدد من الأحداث التي جرت في العالم العربي استغلتها قوى كبيرة معادية لمصر استغلالا كبيرا.

ولهذا فمن الضروري لمصر أن تعطيه دفعة جديدة. ويأتي ذلك قبل كل شئ من الإعلان عن اشتراك مصري كبير وقوى يضم بلا استثناء الشخصيات المعروفة في الغرب بنشاطهم في هذا المجال.

المؤتمر الدولي للسلام والعدل في الشرق الأوسط

اجتماع تحضيري (روما ١٩ ــ ٢٠ إبريل ١٩٧١)
النص الخاص بأعضاء اللجنة الدولية للمساندة

الوضع في الشرق الأوسط يزداد تفاقما. يوجد خطر حقيقي أن يستأنف القتال من جديد وإلا يقتصر على هذه المنطقة، وإنما يثير نزاعا أخطر وعلى نطاق عالمي.

لا يمكن أن ننتظر حتى تقبل شعوب العالم بأسره بشكل نهائي أن احتلال الأرض بالقوة ــ مثل احتلال القوات الإسرائيلية للأراضي العربية منذ ١٩٦٧ ــ يصبح أمرا واقعا خرقا لكل مبادئ القانون الدولي.

ولهذا السبب نقترح عقد مؤتمر دولي للسلام والعدل في الشرق الأوسط، يدعى إليه كل من يهمهم مناقشة إمكانيات الوصول إلى حل بطريقة سلمية وبالتحديد: انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها منذ حرب ١٩٦٧، التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن لهيئة الأمم المتحدة الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الصادر في ٤ نوفمبر ١٩٧٠ بكل شروطه كخطوات أولى نحو أمن واستقلال كل دول وشعوب المنطقة، والتحقيق الكامل والتام للحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني، والضمانات المتوقعة للتسوية الدائمة بحيث تضمن وجود إمكانيات تطور كل الشعوب المرتبطة بالقضية. ويمكن المناقشة لمعرفة إذا كانت التسوية على هذه الأسس يمكنها أن تحقق السلام لفترة طويلة، ولكن القضية المباشرة هو منع استئناف العمليات العسكرية.

وتختلف الآراء حول الأولويات التي يجب مراعاتها بالنسبة لهذه المشكلة. ولكن المناقشة وتبادل الآراء لابد وأن يساعدا على تقوية الضغط للوصول إلى حل عادل لمشكلة الشرق الأوسط.

ورقة عمل

مشروع:

الوضع في الشرق الأوسط يتدهور باستمرار، وتتخذ الأزمة جانبا يزداد خطورة مما دفع بكثير من القوى باتباع موقف عاقل تجاه مشاكل سببتها الأزمة، خوفا من أن تشتعل الحرب من جديد وتهدد السلام العالمي.

بعض أطراف النزاع اتخذت سياسة عاقلة وتبذل كل جهدها للوصول إلى حل سياسي عادل. ولكن هذه الجهود ليست بلا حدود، لأن الشعوب العربية التي احتلت أراضيها في حرب ١٩٦٧ ترفض الإبقاء على هذا الاحتلال، وتهدف إلى تحرير أراضيها وعازمة تماما على عدم القبول بالأمر الواقع. ولاشك أن التصريح الأخير (م. روجرز) الذي أكد فيه أن الوضع السائد في الشرق الأوسط يهدد بقيام حرب عالمية ثالثة، يمثل تحذيرا ويبين الحالة التي يمكن أن يؤدي إليها هذا الوضع إذا لم تعبئ قوى الرأي العام كل إمكانياتها وتعمل سريعا وبفاعلية لإقامة سلام عادل في الشرق الأوسط.

وبعض جوانب النزاع قدمت اقتراحات معقولة لحل المشكلة، ولكن البعض الآخر مازال يتبع دائما موقفا شديدا وجامدا لا يمكن أن يقبله لا المجتمع الدولي ولا الأطراف المعنية.

اقترح السفير يارنج ما يعتبره ضروريا تماما لإقامة السلام العادل، وردت الجمهورية العربية المتحدة بشكل إيجابي على هذه المقترحات، كما شهد السفير يارنج نفسه، وكذلك المسئولون الأمريكيون ــ بينما رفضت إسرائيل الرد وقدمت لمجلس الأمن مطالب بضم بعض أراضي الغير.

يجب إذن بذل جهود على النطاق الدولي للخروج من أزمة المأزق الذي توجد فيه، للوصول لحل سياسي عادل. ولهذا فإننا نقترح عقد مؤتمر دولي من أجل السلام والعدل في الشرق الأوسط، يهدف إلى تعبئة أوسع قوى عالمية لإيجاد حل يقوم على قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة بالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني، وخصوصا قرارات مجلس الأمن الصادرة في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرارات الجمعية العامة الصادرة في ٤ نوفمبر ١٩٧٠.

طبيعة المؤتمر

المؤتمر المقترح هو اجتماع عمل، أي أن كل العمل سيتم عن طريق اللجان المختلفة التي ستناقش العلاقات حول نقاط محددة. وستصدر كل لجنة تقريرا سيكون الصورة الأمينة للمناقشات التي ستدور في جو ديمقراطي.

وسنتجنب بقدر الإمكان نشر قرارات للمؤتمر وستكتفي ببيان عام يشير إلى نقاط الاتفاق بين الوفود.

لجان المؤتمر:

١ ــ لجنة الشئون السياسية: نقترح أن تناقش المسائل التالية وكل مسألة أخرى تقترحها اللجنة خاصة بقضية العدل والسلام في الشرق الأوسط.

ــ تطور أزمة الشرق الأوسط وطبيعة العقبات التي تعوق الطريق نحو الحل السياسي العادل

ــ المقاومة الفلسطينية وشرعيتها، وضرورة تقديم المساعدة إليها لأنها تعبر عن رغبات الشعب الفلسطيني.

ــ قنال السويس، الآثار الاقتصادية لغلقها.

ــ قرارات مجلس الأمن لهيئة الأمم المتحدة. المواقف المختلفة تجاه الأزمة وأسلوب تطبيق القرارات.

٢ ــ لجنة حقوق الإنسان والأراضي المحتلة ــ تناقش:

ــ الوضع في الأراضي المحتلة، الاضطهاد الذي يمارس ضد السكان وخصوصا في قطاع غزة والضفة الغربية.

ــ القدس.

ــ الاضطهاد الذي تمارسه السلطات الأردنية ضد المقاومة الفلسطينية.

٣ ــ لجنة التنظيم:

تصيغ اقتراحات عملية، وتنفذ توصيات اللجان المختلفة مع وضعها في جدول زمني. وستحدد اللجنة نظام العمل المقبل وستحدد الشكل والطبيعة والمهام للأجهزة الدائمة التي ستخرج من المؤتمر.

*

مؤتمر بولونيا وصل إلى نقطة ميتة

إن قرار "التأجيل" يبرر كثيرا بالوضع في العالم العربي. ومع ذلك فإنه يبدو أنه لم يؤسس إلا بالعلاقة بهذا الوضع. ومن المأمول أن نأخذ في الاعتبار أيضا الوضع في إسرائيل، وبالتالي بالوضع العام في الشرق الأوسط.

وهذا الاختبار يقود إلى الاقتناع بأنه يجب على العكس "إزالة العقبات" أمام المؤتمر وقبل كل شيء تحديد الاجتماع التحضيري في مدة معقولة.

*

لقد كان لإعلان مؤتمر بولونيا في إسرائيل صدى من الصعب تصوره. فكما قال الصحفي الإسرائيلي ناتان يالين مور: "لا يوجد أكثر من اثنين مليون ونصف من الإسرائيليين يريدون الذهاب إلى بولونيا". ساهم هذا الإعلان في الدعم الكبير لنفوذ التيارات المعادية للتوسع، وإلى وحدتها وهو الأمر الذي لا يمكن إهماله. ولكن تأخير الاجتماعات وأكثر من ذلك عدم التأكد من موضوعها أدى إلى إفساد نفوذها.

ولا يتعلق الأمر بعامل ثانوي ولكن بجوهر المشكلة وتحديد الاستراتيجية.

وللبحث عن حل للنزاع لابد من الاختيار بين طريق الحرب وطريق العمل السياسي. ولكن ما أن يتم هذا الاختيار حتى يقوم الخيار بين استراتيجيتين للتوصل إلى حل سياسي.

١- هناك الاستراتيجية التي يبدو أن الزعماء المصريين قد اختاروها وهي محاولة التفاهم مع المجموعة الإسرائيلية الحاكمة. وهو طريق السلام "مع أولئك الذين يصنعون الحرب"، وهو الطريق الذي يؤدي إلى "تنازلات لا مفر منها" "ثمنا للسلام". ويمكن أن نتذكر كعنصر مساعد لهذه الاستراتيجية سابقة بريست ليتوفسك لبيان أن السلام القائم على التسوية compromis لا يكون دائما دائماً خيانة للمصالح الوطنية. ولكن هذا الطريق في النزاع العربي الإسرائيلي ليس له نتيجة، فإن المجموعة الإسرائيلية الحاكمة لا تعتبر ما ستفعله مصر "تنازلا"، وإنما ترك أي جزء من الفتوحات التي تحققت عام ١٩٦٧. وإن كل تنازل تقدمه مصر لن يؤدي إلا إلى تشدد أنصار التوسع. فالصقور سينتصرون وسيستفيدون من أن هذه التنازلات تمثل انتصارا لسياستهم القائمة على عدم التشدد وتبرر مواصلتها. ومع التخلي عن الموقف المبدئي في المجال السياسي وفي ظل علاقات القوى في المجال العسكري فإن هذا الطريق لن يؤدي إلى السلام (الذي يستحق بالتأكيد بعض التضحيات)، ولن يؤدي إلا إلى استمرار الوضع الراهن. ولكن لهذه الاستراتيجية جانب آخر أكثر سلبية. فإذا تقبلنا مبدأ الحوار مع المجموعة الحاكمة، فإننا نوجه بذلك ضربة كبيرة إلى قوى السلام الإسرائيلية المعادية للتوسع. فإننا نصل بذلك إلى حد تجريدها من أهليتها، إذ ما السبب الذي سيجعل الجماهير تتجه إلى هذه القوى، طالما أن حكامهم الحاليين يعتبرون الشركاء المتفق عليهم للمفاوضات. ولماذا تستمر هذه القوى في المعركة إذا كانت مصر مستعدة للتعامل مع خصومهم. وباسم ماذا تستطيع أن تحافظ على موقف مبدئي متشدد إذا كانت مصر مستعدة لموقف "مرن" بالنسبة لهذه المبادئ ؟

٢- ما هي الاستراتيجية الأخرى؟ هي استراتيجية التحالف مع قوى السلام الإسرائيلية والمعادية للتوسع، تلك التي تدافع بشكل صلب عن حل سليم يقوم على قرارات مجلس الأمن وعلى الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني.

كيف ننشئ هذا التحالف؟ أساسا بالاعتراف بهم كالمحاورين الوحيدين المقبولين شرعا. وخصوصا بالقيام بالحوار مع هذه القوى. فهذا الحوار وحده يمكن أن يكون بالنسبة للجماهير الإسرائيلية الضمان على الأسس التي تدافع عنها هذه القوى. وفي الواقع أن ممثليهم يعتبرون على خلاف الآخرين- حلفاء لأولئك الذين لهم نفس الموقف في المعسكر العربي. وهكذا يظهر لهم ضمان لسلام حقيقى وليس الإعداد "لجولة قادمة".

إنه مؤتمر بولونيا الذي سيسمح بأول حوار حقيقي. ويمثل إذن عاملا حاسما لاعتراف التقدميين العرب رسميا بدور حلفائهم في إسرائيل. وسيؤدي هذا الاعتراف إلى أن يعامل الصقور الإسرائيليون هؤلاء "كخونة"، ولكنه سيؤدي إلى تحول عميق فى الحالة المعنوية للجماهير الإسرائيلية. وسيكون لمؤتمر بولونيا صدى ضخم أكثر من أي تصريح "معقول" من جانب القادة العرب. ولهذا يجب وضع حد للتردد الذي يسود حول عقده.

*

على ضوء ما سبق يبدو من الضروري التحذير ضد بعض الاتجاهات التي تظهر بخصوص تركيب هذا المؤتمر.

- الاتجاه المتعلق أولا بتركيب الوفد الإسرائيلي. أثناء فترة التحضير التي اشترك فيها الوفد المصري السابق، يبدو أنه يجب أن يكون وفقا للموقف من شروط السلام (قبول قرار مجلس الأمن)، والموقف من الفلسطينيين ("الاعتراف بحقوقهم القومية").

وأثناء الزيارة الحديثة التي قام بها الوفد المصري لأوروبا، يبدو أن شرطا جديدا يوضع: وهو أن الإسرائيليين يجب أن يكونوا "معادين للصهيونية". يجب أن نقول بوضوح أن هذا الشرط يجرد الوفد الإسرائيلي من أي تمثيل.

هناك أولا مسألة مبدأ. لا يطلب أحد من الوفود العربية أن تقبل قسرا ومقدما المبادئ المقررة من المؤتمر لحل النزاع. ولكننا نشترطها بالنسبة للمندوبين الإسرائيليين وهذا الشرط مبرر تماما ويمكن قبوله بسهولة. ولكننا لا نطلب من المندوبين العرب أن يكون لهم أفكار معينة بالنسبة للقضايا الأخرى: الوحدة العربية مثلا. بينما نطلب من المندوبين الإسرائيليين مقدما أن تكون آراؤهم حول المسألة اليهودية هي نفس أراء المندوبين العرب. إن مثل هذا التمييز لا يقبل من وجهة النظر الإسرائيلية، ولا حتى من أولئك الذين هم فعلاً معادين للصهيونية.

ومن ناحية أخرى، ففي أعين الجماهير الإسرائيلية، الصهيونية تساوي دولة إسرائيل ومعاداة الصهيونية تعني تدميرها. هي فكرة زائفة ولكنها الفكرة السائدة بين الجماهير. ولهذا فإن المندوبين الإسرائيليين حتى لو قبلوا الحضور على هذا الأساس فلن يعودوا متمتعين بالنفوذ والتأثير، بل سيعتبرون خونة وعملاء للعرب. هذا عامل يجب وضعه في الاعتبار.

يبدو أنه يجب القيام بجهد جاد للتوضيح لدى بعض المندوبين العرب وخصوصا أولئك الذين لم ينشغلوا بهذه المشكلة إلا منذ وقت قصير.

أما بالنسبة للمشاركين فى المؤتمر ممن ليسوا من طرفي النزاع، فيبدو أن التوجه هو إلى بعض "التوسيع". فهناك توجه لضم مندوبين لهم اتجاهات لا تستند على المعارضة بين قوى السلام والقوى العدوانية، والتي تذهب حتى إلى حد اعتبار المجموعة الحاكمة في إسرائيل ملائمة أكثر من المعارضة المعادية للتوسع.

إن وجود مثل هذه العناصر في مؤتمر بولونيا ستسهم في تشويه المعنى الحقيقي. إنه يمثل خطر تحويل المؤتمر إلى مؤتمر للمصالحة العربية الإسرائيلية. وسيؤدي ذلك بالمؤتمر إلى فشل مؤكد لأن "المصالحة" بين الجانبين، في المستوى الحاكم، لا يمكن أن يؤدي في الظروف الحالية وعلاقات القوى الحالية إلا إلى تخلى الجانب العربي عن مبادئه التي يجب أن يتمسك بها.

* * *

وفي الختام نقول إن مواصلة التردد الحالي ومنظور تأجيل المؤتمر إلى أجل غير مسمى يهدد بإمكانية قيام مؤتمر بديل، "لقوة ثالثة" مع كل النتائج المحزنة التي تنتج عنه. وحتى إذا لم يعقد هذا المؤتمر للقوة الثالثة في نهاية الأمر، فإنه سيضطر القوى الديمقراطية أن تخوض ضده نضالاً عقيما يساعد على تعتيم المشكلة الحقيقية.

وفي النهاية يبدو أن بعض التدهور في الموقف الثابت في العالم العربي لا يجب أن يؤدي إلى التشكيك في مؤتمر بولونيا، وفي أنه سيؤدي إلى الاعتراف بقوى السلام في إسرائيل. فهو لن يؤدي فقط إلى تدعيم هذه القوى، ولكنه سيكبح أيضا كل الاتجاهات "التصالحية" أو "المصفية" الموجودة في بعض البلدان العربية. وهو سيبين في نفس الوقت بطلان طريق "المصالحة"، والإمكانية الحقيقية لتغيير مواقف الجماهير الإسرائيلية بالنسبة للحل السياسي للنزاع.

يمكن أن نعدل بعض "الأعمال التمهيدية" لمؤتمر بولونيا (تعديلات يمكن أن تتم في الاجتماع التحضيري الثاني)، ولكن يجب عقده في أقرب وقت وتحديد أقرب تاريخ للاجتماع التحضيري الثاني الذي سيدعو للمؤتمر.

* * *

كان من الواجب أن تتوج هذه المحاولات بالنجاح طالما أن المؤتمر الدولي من أجل السلام والعدل في الشرق الأوسط كان عليه أن يعقد في بولونيا بإيطاليا في مايو ١٩٧٣ . لقد جمع أنصار السلام وشخصيات عربية وإسرائيلية. وكان من نتائجه رغم كل سلبياته "فك الحصار" عن الوضع السياسي وأجبر حتى الحكومات العربية والإسرائيلية على البحث في النهاية عن الطرق للسلام الذي بدا أن الشعوب تريده باصرار.

من أجل "بولونيا ثانية"

عقد المؤتمر الأول بسلبيات عديدة من السهل تعداد أهمها:

ـ الجانب العربي: غياب كبير للفلسطينيين، وغياب اللبنانيين، والجزائريين، انعدام الإعلام أو إعلام غير كافي للرأي العام العربي.

ـ الجانب الإسرائيلي: تمثيل ضعيف.

ـ الجانب الخارجي للنزاع: وفود قليلة العدد، تمثيل ضعيف، غياب واضح للتمثيل الأمريكي.

ـ سير الأعمال: دون اهتمام كبير، الوثيقة النهائية ناقصة جدا الخ.

ولكن يكفي أن نذكر الجانب الإيجابي لتبين أنه يتغلب بشكل حاسم على النواحي السلبية. لقد حقق المؤتمر واقعا لا سابق له في واقع الأمر. لقد جمع أنصار سلام عرب وإسرائيليين لأول مرة بشكل علني. لقد بين إمكانية حدوث حوار بينهم قائم على موقف متقارب في مواجهة القوي الرجعية في المعسكرين. وجعل بذلك وبشكل نهائي أمرا ممكنا فكرة أنه يوجد أساس للتوافق على الأقل بين العناصر المتقدمة الإسرائيلية والعربية: وهذا التفاهم هو ضمان التفاهم المقبل بين الشعبين.

ومن المؤكد أن النزاع العربي الإسرائيلي لا يقتصر على مجرد خصومة بين العرب والإسرائيليين. لا نستطيع أن نعدد كل المكونات للمشكلة الأكثر تعقيدا في المجال الدولي: ظروف إنشاء وطبيعة الدولة الإسرائيلية، طبيعة الحكومات العربية ونظمها المختلفة، نفوذ وألاعيب القوى الدولية الخ.

يبقى بعد ذلك أن التحاليل التي سبق عرضها، والتقارب المذكور أعلاه يبدو الطريق المفضل "للخروج" من الموقف. وعلى أي حال يكـــون علـــى الديموقراطيين مهام محددة لإنجازها.

والآن ما العمل؟

من الواضح أننا لا نستطيع أن نتوقف هنا. فإن المساهمين وخصوصـا الإسرائيليين والعرب لا يتمنون فقط أن نستمر بل ونتقدم.

ويبدو أن "بولونيا ثانية" ممكنة بشرط ألا تكون تكرارا للأولى.

يجب أولا أن نعود إلى فكرة "المؤتمر" الكبير الذي كانت مطروحـــة. وأن تردد القوى العديدة المنظمة (التي كانت لا تؤمن به في الواقع) حولتـــه إلى مؤتمر "صغير". كان المطروح في البداية ٥٠٠ أو ٦٠٠ شـــخص ولـــم يجتمع إلا الثلث. يجب أولا ان نعود إلى عدد ٦٠٠ تقريبا.

وفي هذه "البولونيا الثانية" سيشترك الفلسطينيون وهذا وحده ســيعطي بعدا جديدا للمؤتمر. وستشترك أيضا قوى إسرائيلية مناصرة للسلام يجب أن نتطلب أن تكون عديدة حقا وأكثر تمثيلا مما كانت عليه في الوفد الأول.

ويجب أن تشترك أيضا شخصيات أكثر تمثيلا ومنظمات أكـــثر مـــن الرأي الديموقراطي العالمي. ولكن بالنسبة لهذا الموضوع، نخـــرج بـــدرس رئيسي من المؤتمر الأول: فمن الضـــروري ألا تـــأتي هـــذه الشـــخصيات بمشاكلها الخاصة إلى المؤتمر. فدورها يجب أن يكون قبل أي شئ ضمـــان وتسهيل التقارب والحوار بين أطراف النزاع. وأحد دروس "بولونيا الأولـــى" أن الشخصيات الأجنبية التي كانت لها مواقف "مع" أو "ضد" ارتكبوا خطـــأ كبير سواء أثناء الإعداد أو أثناء انعقاد المؤتمر.

وهذا القول يتعلق بالجزء الذي كنا نسميه "الاستمرارية". لقد قلنا أنـــه من المهم جدا أن "نتقدم".

*

والتقدم يعني أساسا التخلص من عدد من المظاهر الخادعة التي اتخذها المؤتمر لأسباب "تكتيكية" والتي أضعفت الإشعاع سواء خلال دورته أو في نتائجه، بالانتهاء بوثائق تقدم وحدها باعتبارها "متميزة" نسبيا ولا تقبل إلا بعد إيضاحات عديدة شفوية أو مكتوبة تضاف لشرح المغزى الحقيقي.

إنه الانطلاق لا من النتائج المتواضعة – للمؤتمر وإنما من "روح بولونيا" واتخاذ موقف من جوهر المشكلة بشكل مفتوح تماما.

وجوهر المشكلة هو تحالف القوى السلمية للمعسكرين، هذا التحالف الذي يؤدي إلى تقويتهم. وفي إسرائيل بالتحديد يكون الشئ الهام، بشكل خاص، واقع إن هذه الدولة هي التي تعارض التسوية العادلة والسلمية للنزاع (أي مؤتمر من أجل السلام والعدل في الشرق الأوسط) حيث تصبح القوى السلمية مكونا رئيسيا للعناصر التي تضغط من أجل حل للنزاع.

وهذا التحالف يجب أن يقوم في نضال ضد القوى الرجعية في المعسكرين. وهذا هو الفرق الجوهري مع حرب فيتنام: ففيها تأسس هذا التحالف ضد القوى الإمبريالية الأمريكية وحدها. في النزاع العربي الإسرائيلي يوجد في كل معسكر قوى رجعية وشوفينية متحالفة مع الإمبريالية بدرجات مختلفة وبدون هذا النضال لن يكون التحالف إلا ضعيفا ودون هدف. ولهذا مثلاً يجب وضع وثائق جديدة وبشكل خاص برنامج جديد حتى إذا لم يستطع أن يكون مركزا كليا على هذه الفكرة فعليه أن يذكرها.

ولهذا يجب إنشاء لجنة دولية حقيقية: وليست إيطالية "موسعة " ولكن لجنة دولية واسعة ذات تمثيل، تشمل أساسا ممثلين إسرائيليين وعرب يجب أن يكونوا نسبيا أكثر عددا من تلك الآتية من البلاد الأخرى وذلك لأسباب واضحة.

وهذا التكوين يطرح عددا من المشاكل. ما هي الجهة التي تكونها؟ والأكثر حساسية يتعلق بالممثلين الإسرائيليين.

ليس اليسار السلمي الإسرائيلي ضعيفا فحسب بل هو غير متجانس ومشتت. ما هي الشخصيات التي يمكن أن تمثله، بحيث تشعر مكوناته المختلفة كلها (أو أغلبها) أنها ممثلة حقا؟ والمشكلة أيضا هي استكمال تمثيل المجموعات المحدودة جدا بشخصيات لا تكون جزءا من "المنظمات"، ولكنها بذلك نفسه أكثر تمثيلا للتطلعات السلمية الخالصة للجماهير الشعبية مهما كانت التشكيلات الأساسية التي تساندها.

هذه اللجنة الدولية ستدعو "لبولونيا الثانية" في الربيع القادم، ولكن كل هذه الاجتماعات الثلاثة أو الأربعة المستهدفة يمكن أن تلعب دورا نشطا في تطوير "روح بولونيا".

والمبادرة يجب أن يأخذها الجانب العربي ويمكن أن يكون مؤتمر موسكو فرصة لانطلاق العمل من جديد.

***

***

في عام ١٩٧٣ كان نتائج حرب ١٩٦٧ المأساوية أحد العقبات الرئيسية في سبيل الحوار المصري الإسرائيلي. كان الجيش المصري يرغب بحماس في الانتقام. ومن الجانب الآخر كانت إسرائيل قد أسكرها نشوة النصر. وأي مفاوضة جادة كانت تواجه العقبة التالية: كانت إسرائيل تفاوض انطلاقا من موقف الانتصار الكاسح. ولم تكن مصر تستطيع التفاوض في ظل مثل هذه الهزيمة.

ووجد أنور السادات الذي أعاد تنظيم وتسليح جيشه بمساعدة السوفييت، وجد الفرصة ملائمة في أكتوبر ١٩٧٣ لشن عملية عسكرية مفاجئة. وأدت هذه العملية سريعا إلى عبور الجيش المصري لقناة السويس وتدمير خط بارليف.

منظورا إلى الأمر من الناحية المصرية كان الهدف قد تحقق. فقد ثبت زيف أسطورة أن الجيش الإسرائيلي لا يمكن قهره وأن الجيش المصري قادر تماما أن يسبب له خسائر كبيرة.

وتتابعت الأحداث الهجوم الإسرائيلي المضاد وعبور عناصر من الجيش الإسرائيلي لجنوب قناة السويس وهذا كله لم يغير النتيجة الأساسية التي حصل عليها المصريون.

وأصبح واضحا أن الوضع السياسي أصبح منفرجا وأن حوارا جديدا يمكن أن يبدأ من جديد على أساس أكثر توازنا. وظهر تحول تاريخي. وأصبح من الملح أمام الشيوعيين المصريين أن يحددوا موقفهم من جديد.

في ١٩٧٥ خاطبهم هنري كورييل بالتقرير التالي لتذكيرهم بضرورة العودة إلى سياسة مبدئية.

***

من أجل سياسة مبدئية

من المميزات الهامة للحركة الشيوعية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية مواقفها حول القضية الفلسطينية

أولا كانت دائما وظلت معادية للصهيونية بلا هوادة رغم أن السلطات الملكية والطبقات المصرية السائدة كانت تتعاون مع المنظمات الصهيونية وضد الشيوعيين أساسا.

وكانت في نفس الوقت وبعمق معادية للعنصرية وكانت الحزب السياسى المصري الوحيد الذي استطاع فيه اليهودي أن يناضل من أجل وطنه المصري. بينما اتخذت الطبقة السائدة مواقف مزرية عنصرية ومعادية للسامية.

وأخيرا فإنها اتخذت بشجاعة وفي ظروف شديدة الصعوبة مواقف أممية بالنسبة للقضية الفلسطينية، بينما اتخذت الطبقات الحاكمة مواقف شوفينية وديماجوجية دفعت شعوب المنطقة والشعب الفلسطيني أكثر من غيرها ثمنا لها معاناة لا حدود لها.

وفي عام ١٩٤٧ ساندت الغالبية الساحقة من المجتمع العالمي (امتنعت بريطانيا العظمى) ومجموع القوى التقدمية في العالم مشروع تقسم فلسطين الذي قررته هيئة الأمم المتحدة باعتباره الحل الأقل سوءا للشعوب، وذلك في منطقة كانت الإمبريالية البريطانية تسود فيها، واعتبرت هذا المشروع ضربة كبيرة لنفوذها.

وبتحريض من الإنجليز ولخدمة الإمبريالية البريطانية شن العملاء فاروق وابن سعود وعبد الله وغيرهم "حملة" عام ١٩٤٨ التي كان هدفها بلا نزاع هو محاولة سحق الحركة الوطنية الديمقراطية في البلاد العربية. أما الشيوعيون فقد ناضلوا من أجل إقامة دولتين، عربية ويهودية، بهدف توحيدهما فيما بعد ضد الإمبريالية وعملائها الإقطاعيين العرب، وضد المغامرات والكوارث التي دفعوا إليها الشعوب العربية.

لم يستمعوا إليهم، ولم يستطيعوا أن يفرحوا بتأكيد النتائج والكوارث الناتجة عن السياسة التي سار عليها قادة ذلك الوقت والذين جاءوا بعدهم.

وكان أول الضحايا وأكثرهم بؤسا لهذه السياسة هو الشعب الفلسطيني الذي ادعوا أنهم يقدمون له المساعدة. كيف نعبر عما جرى له منذ ذلك الوقت؟

وقاست أيضا وبشدة الشعوب العربية ومن بينها الشعب المصري: أزمات داخلية، نفقات عسكرية ضخمة، عزلة سياسية الخ.

أما الشعب اليهودي الإسرائيلي فقد انتقل إلى نفوذ الأوساط الصهيونية والتوسعية وارتبط بشكل وثيق بالأوساط الإمبريالية التي استخدمته ضد العالم العربي وخصوصا القوى التقدمية العربية.

وكانت السياسة الخارجية للقادة المصريين الجدد تسويفية، مترددة منتقلة من التسويف إلى التطرف ومعاداة السامية بصراحة. وهي في جملتها سياسة بلا مبادئ رغم أن جمال عبد الناصر تطور بعد ذلك إلى مواقف أكثر تحديدا.

جلبت هذه السياسة الكثير من المآسي إلى المنطقة وحرمت الشعب المصري من جزء كبير من مميزات الثورة الوطنية المعادية للإقطاع عام ١٩٥٢ وفي الفترة التي مارس فيها عبد الناصر سياسة تقدمية. وكان الثمن هو كارثة ١٩٦٧. وهو ثمن باهظ دفعه الشعب المصري وغيره من الشعوب

العربية (نهاية المساعدة للنضال المعادي للإمبريالية في الخليج، وتقوية النظم الرجعية العربية الخ).

وأخيرا فإن الانتصار النسبي عام ١٩٧٣ الذي لا يعرفون بشكل كـافي في مصر أنه لم يتحول إلى كارثة إلا بفضل التهديد القوى بالتدخل من جانب الاتحاد السوفيتي، لم يحقق النجاحات المنتظرة، وانتقل إلى سياسة انتهازيـة صريحة كانت نتيجتها الشلل الكامل لكل مبادرة مصرية جديدة في المجـال العسكري: فسياسة "الخطوة خطوة" أضعفت التضـامن العربـي والمقاومـة الفلسطينية بالتالي. واستطاعت سوريا بذلك أن تهاجمـها بـلا عقـاب وأن تضعها في خطر.

ويبقى بعد هذا الاختبار السريع الذي يمكن أن نطوره ونستفيض فيـه كثيرا أن نقول أن المواقف الانتهازية والشوفينية والديماجوجية وغير المبدئية تتعارض مع مصلحة الشعوب، وأن الوطنيين الحقيقيين هـم الذيـن لديـهم الشجاعة لقول الحقيقة لشعوبهم.

وينتج من ذلك أنه يجب العودة إلى سياسة مبدئية: وهي السياسة التـي يقترب منها الفلسطينيون أكثر فأكثر. وبدون مثل هـذه السياسـة المحـددة **والمعبر عنها بوضوح** لا يوجد بالنسبة لهذه القضية حل يتفق بشكل حقيقـي مع مصلحة الشعوب.

*

هذه السياسة يجب تحديدها: ونكتفي هنا بتحديد الخطوط العريضة:

١ ـ سيظل جوهر القضية كما كان عام ١٩٤٧. وهو الاعتراف بحق الوجود لدولة وطنية للفلسطينيين بـالطبع، ولكـن أيضـا وبنفـس القـدر للإسرائيليين. ولا يجب التنازل عن حق الفلسطينيين الذي لا يقبل التنازل في إقامة دولتهم التي يجب أن يدافعوا عنـها لا ضـد المشـاريع الصهيونيـة والإمبريالية وحدها، ولكن أيضا ضد بعض المشاريع العربيـة "الوحدويـة"

المزعومة التي ترمي بشكل أو بآخر إلى تدمير الشخصية الوطنية الفلسطينية. والأصعب من وجهة نظر التقدميين العرب الاعتراف بحق اليهود في إسرائيل في دولتهم الوطنية. والصعوبات لها أسباب واضحة فإن السياسات المقززة للحكومات الإسرائيلية، وتحالفاتهم مع أكثر الأوساط رجعية، ومع كل أعداء العرب، وموقفهم تجاه العرب في الأراضي التي احتلوها الخ. ويبقى الواقع المؤسف والمؤلم بالتأكيد للعالم العربي وللفلسطينيين على وجه الخصوص وهو أن إسرائيل قد كونت منذ عام ١٩٤٧ أمة لها الحق في الوجود ومستعدة للدفاع عن هذا الحق حتى النهاية. وإن الاعتراف بهذا الواقع يعني انحياز الحركة الشيوعية المصرية للمواقف التي تجمع عليها البلدان الاشتراكية وكل القوى التقدمية في العالم. ولكن الاعتراف بهذا الواقع يعني إعلانه بصراحة والنضال ضد كل الانحرافات المعادية للسامية والشوفينية والديماجوجية من ناحية ومن ناحية أخرى ضد الحلول الانتهازية والمغامرة: وهي نضالات صعبة وقد تأخرنا كثيرا في القيام بها. ونحن نعرف أن الاتجاهات الأكثر تقدما في المقاومة الفلسطينية تقترب من هذه المواقف. ولكن المواقف اليسارية المتطرفة بدلا من أن تسهل هذا التطور فإنها تعارضه معطلة بذلك إقامة الأساس الوحيد لحل المأساة.

٢ ـ ويجب بعد ذلك وانطلاقا من هذا الأساس المبدئي بدلا من المواجهة القومية البحتة إقامة تحالف حقيقي بين القوى التقدمية للمعسكرين ضد التوسعيين الإسرائيليين وحلفائهم الطبيعيين المتطرفين العرب ونعرف أنه منذ فترة بدأت عناصر هذا التحالف تتوطد.

٣ ـ ويجب أخيرا وفي نفس الوقت النضال من أجل تحقيق تكامل الأراضي المصرية. وهو أمر يمكن قبوله بسهولة. لهذا بدلا من سياسة "الخطوة خطوة" التي ينادي بها الأمريكيون، يجب الدفاع عن سياسة الحـــا
الشامل أي الانسحاب الكامل من الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ٦٧
وهذا الحل لا يمكن تحقيقه إلا بدعم الوحدة العربية من ناحية، ومن ذ
أخرى بإشراك القوى الاشتراكية العالمية وعلى رأسها الاتحاد السـ

والبلاد الاشتراكية الأخرى، وأن يتم النضال بالتحالف مع قوى السلام في إسرائيل وعلى أساس الاعتراف بحقوق الشعبين العربى واليهودي في التواجد القومي.

ولختام هذا العرض السريع يجب التأكيد على ضرورة النضال ضد موقف السلطة التي تحاول إرجاء هذه المسألة إلى المجال الخلفي.

فالأمر على العكس يتعلق بقضية لها الأهمية الأولى.

أولا، استمرار حياة الشعب الفلسطيني الشقيق ونهاية معاناته.

ثانيا، تمثل بالنسبة للشعب المصري نفسه خطراً عسكرياً دائماً، وعبئاً مالياً هائلاً وتهديداً دائماً في نضاله من أجل التقدم الديمقراطي.

والأمر يتعلق أخيرا. منذ نهاية حرب فيتنام بأخطر بؤرة تهدد السلام في العالم.

وإن مواجهة هذه المشكلة بشجاعة على أساس مبدئي يعني بالنسبة للحزب الشيوعي المصري استعادة دور الطليعة الذي كان يتمتع به في هذا المجال.

***

كلمة صبري جريس

.. ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ..

في الاحتفال بذكرى مرور عشرين عاما على اغتيال هنري كورييل

سيداتي وسادتي عرفت المرحوم هنري لأول مرة في أواخر سنة ١٩٧٦ عندما استقبلنا مع مجموعة من زملائه أنا وزميلي الدكتور عصام السرطاوي وأنا في صورة شبه سرية في باريس. قبل ذلك كانوا قد استقبلوا أيضاً مجموعة من الإسرائيليين من قوى السلم كانت قد قدمت للغرض نفسه وهو إجراء مفاوضات سرية بين الإسرائيليين والفلسطينيين بهدف إيجاد تسوية لقضيتهم. في ذلك الوقت كنت اشغل منصب نائب مدير عام مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وكنت أيضاً رئيساً للقسم الإسرائيلي في المركز. وقد استدعيت بصفتي هذه إلى إحدى مكاتب المسئولين الفلسطينيين الذين أبلغوني أن هناك مفاوضات تجري في باريس بين الفلسطينيين والإسرائيليين وانه قد تقرر ان اشارك أنا أيضاً بها.

اليوم ليس غريباً أن تكون هناك اتصالات فلسطينية إسرائيلية، لأنها أصبحت أمراً مألوفاً، لكنها قبل أكثر من عشرين عاماً من اليوم، في سنوات السبعينات، كانت تبدو نوعاً من المستحيل وأن كانت مثل هذه اللقاءات تحدث من حين إلى آخر فإنها لم تحدث علناً ولو مرة واحدة حتى ذلك الوقت . والأكثر من ذلك انه حتى عندما كانت تجرى مثل هذه الاتصالات رسمياً ك كل منهما أي الإسرائيلي أو الفلسطيني ينكرها.

قبل ذلك الوقت بفترة قصيرة في أواخر ١٩٧٣ أو بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بدأ هناك تغيير يطرأ على الموقف العربي وأيضاً على الموقف الفلسطيني، بالنسبة للاتصالات مع إسرائيل.

بعد أكتوبر ظهر الحديث عن تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط .. وتمت هناك الدعوة من قبل مصر وغيرها لعقد مؤتمر سلمي في جنيف. وبالفعل عقدت على الأقل جلسة واحدة من هذا المؤتمر في أوائل ١٩٧٤، وملخص هذه التطورات، كما كان يقول السادات ان تلك الحرب على رأيه كانت آخر الحروب وانه لابد من تسوية لأزمات المنطقة سلمياً. هذه التطورات في حينها وجدت لها تعبيراً حتى أيضا في البرنامج الرسمي للمنظمة في يونيو ١٩٧٤، عقد المجلس الوطني الفلسطيني دوره في القاهرة كانت حسب اعتقادي من أهم الدورات التي عقدها. في هذه الدورة أقر المجلس برنامجاً سياسياً أطلق عليه أسم برنامج النقاط العشرة. يتلخص هذا البرنامج في استعداد المنظمة لإقامة سلطة وطنية فلسطينية في أي أرض تنسحب منها إسرائيل. وهذا البرنامج جاء بمثابة توضيح للموقف أو توضيح للاستعداد الفلسطيني للقبول بتقسيم فلسطين وإقامة دولتين منفصلتين عليها واحدة لليهود وأخرى للعرب .. ثم تطور هذا البرنامج في المجالس الفلسطينية اللاحقة سنة ٧٧ و٧٩ و٨١ حتى تمت الدعوة رسمياً إلى إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل ..

إذاً على ضوء هذه الخلفية تمت هذه الاتصالات بيننا وبين قوى السلم الإسرائيلية ابتداء من سنة ١٩٧٦ أو قبل ذلك بقليل برعاية ووساطة هنري وصحبه .. ما تم في ذلك الحين في الحقيقة بالرغم من انه كان بسيطاً للغاية فإنه أيضاً وبالقدر نفسه كان محكماً. هذه المجموعة الباريسية كما كنا نسميها فيما بعد اقصد هنري وصحبه حصرت دورها في ترتيب اللقاءات وتركوهم للتفاوض لوحدهم وأذكر جيداً كيف تعاملوا معنا بحذر شديد وهدوء اشد وكان

كل همهم ان يجمعوننا مع بعضنا البعض. استمرت هذه الاتصالات أو المفاوضات بين الإسرائيليين وبيننا بضعة أشهر. انها لم تسفر عن نتيجة تذكر نظراً للضغوط التي كنا نتعرض لها نحن الفلسطينيين من ناحية ولتردد حكومة رابين من ناحية ثانية.

وفي اواسط مايو ١٩٧٧ جرت انتخابات عامة في إسرائيل فسقط حزب العمل وجاء الليكود بقيادة بيجين إلى السلطة. إذاً تلك المرحلة لم تتوج بنتائج تذكر ولكن رغم ذلك كان لهذه الاتصالات أثرها ولنقل مؤشرات نحو المستقبل. هذه المفاوضات بحد ذاتها خلافاً لأي مفاوضات أخرى انكرت من قبل الطرفين، من قبل كل من الإسرائيليين والفلسطينيين، وان كان كل شخص يعرف جيداً أنها فعلا قد حدثت ولم يمر وقت طويل حتى انتشر الخبر في كل أوساط الإعلام وفي كل الدوائر السياسية المهمة التي راحت تعتقد ان هناك اتصالات وإن انكارها هو مجرد عمل روتيني لا قيمة له. واعتقد بأنها كانت أول الاتصالات التي كسرت الطوق الذي كان مفروضاً على الاتصالات بين الفلسطينيين والإسرائيليين فقط. بين قوسين ملاحظة شخصية صغيرة جداً "كان نصيبنا بعد هذه المفاوضات (الزميل المرحوم الدكتور عصام السرطاوي وانا) ان منعنا من دخول دمشق نظراً لاتصالنا مع العدو". هذا النوع من المفاوضات شبه السرية أو شبه العلنية بين إسرائيل والفلسطينيين أصبح منذ ذلك الوقت بمثابة نموذج خلال فترة حكم الليكود التي تلت هذه الاتصالات. في سنوات أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات لم يكن هناك اتصالات يمكن ان يشار لها نظراً لمعارضة بيجن لها. هذا الوضع تغير قليلاً بعد حكومة الليكود الثانية ثم دخول حزب العمل كشريك في حكومة الاتحاد الوطني في إسرائيل .. واتسعت هذه اللقاءات في الحقيقة لتشمل شخصيات وجهات عديدة ومهمة جداً في إسرائيل وحتى في الخارج بين الفلسطينيين. ونذكر على سبيل المثال قصة الوزير عزرا وايزمان الذي

أقاله رئيس الحكومة شامير من الحكومة الإسرائيلية" لاتهامة بأنه "يتجسس لصالح الفلسطينيين.

كما هو معروف بعد عودة حزب العمل للسلطة في ١٩٩٣ استأنفت الاتصالات بدافع قوي جداً .. وهي التي سبقت كما هو معروف توقيع اتفاق اوسلو وباقي الاتفاقات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية المعنى السياسي النابع من المفاوضات السياسية الفلسطينية الإسرائيلية انه خلال هذه المفاوضات وفقط من خلال هذه المفاوضات تم التوصل إلى الاتفاقيات التي تكاد تشتمل على حل شبه شامل للقضية الفلسطينية. وهي متوقفه كما هو معروف الآن منذ نحو سنتين.

والسبب في ذلك كما هو معروف الآن هو معارضة حكومة الليكود وبالذات معارضة بنيامين نتنياهو للاستمرار قدماً على الطريق التي كانت قد وضعت قبل ذلك ومحاول تغييرها. رغم هذه المواقف، فإننا نحن في الجانب الفلسطيني نعتقد أنه لا يمكن الاستغناء عن هذه الاتفاقيات وعن هذه المفاوضات. وباعتقادنا انه ينبغي تنفيذ كل ما تم الاتفاق عليه في هذه الاتفاقيات في اوسلو أو واشنطن أو غيرها .. وأنا أعتقد ان لا حل دون السلام.

وشكراً



رقم الإيداع ١٥٦٣/٩٩

الترقيم الدولي I.S.B.N.

977-221-088-6



هذا الكتاب

اسمحوا ليهودي ولد فى الشرق الأوسط وعاش هناك أربعين عاما، أن يحاول إعطاء هذه الدراما مغزاها الحقيقي. وفي الواقع أن المشكلة ليست فى معرفة إذا كان الفلسطينيون العرب الذين غادروا مسرح الحرب سنة ١٩٤٨ كان لهم الحق أم لا فى أن يخافوا على حياتهم، وإذا كانوا قد رحلوا بإرادتهم أو بتحريض من قادة البلاد العربية الأخرى.

وإذا كان بعض الحكومات العربية تستغل هذه المشكلة أم لا، وإذا كان اللاجئون يمكن دمجهم اقتصاديا ام لا في البلدان العربية الأخرى، فهذه كلها مسائل ثانوية.

إن حق اللاجئين في العودة أو التعويض هو أمر أعلنته هيئة الأمم المتحدة دون أي لبس في ١١ ديسمبر ١٩٤٨. وقد أكدته الجمعية العامة بقوة وبشكل رسمي منذ عدة شهور.

ولا يمكن أن نقارن مصير اللاجئين الفلسطينيين مثلا بمصير البلغار في اليونان الذين وطنوا في اليونان. ولا يمكن "توطين" فلسطينى في مصر أو لبنان أو العراق تماما كما لا يمكننا أن نوطن بلغاريا في فرنسا. فبما أنه أصلا من فلسطين فإن حقه فى العودة ليس مقدسا فحسب، وإنما هو غير قابل للتقادم بالنسبة إليه وإلى أولاده.

والمشكلة الحقيقيه هي في وجود الأمة الفلسطينية نفسها. فإن الاعتراف بهذه المشكلة والاجتهاد في حلها، هى أفضل طريقة للحفاظ على السلام في الشرق الأوسط.

هنري كورييل

(جريدة الموند، ١١ إبريل ١٩٦٤)